

شَرْحُ مَعْنَى الْقِيَامَةِ وَقَضَائِهَا

مَقُولٌ مِنَ السَّجْدِ الْبَشَرِيِّ لِلْبَشَرِ الْكَثِيرِ

صَالِحُ بَرِّ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِهِ وَلِأُمَّةٍ مِمَّنْ

شَيْخُ
مَعَاذِي الْفَاتِحَاتِ
وَقَضَا الْمَقْصِدَاتِ

لِيَايِسَ النَّاسُ شَرِّهِ وَتُظَاهِرَ أَرْبَابُكُمْ نِيَّتَهُ الْبَشَرِ ٨٥

شَرْحُ

مَعْنَايَ الْفَوَائِدِ
وَقِصَّةِ الْمَقْصِدِ

مَنْقُولٌ مِنَ السَّجِلِ الصَّوَرِيِّ لِلْبَيْتِ الْكُثُورِ
صَالِحِ بَرِّعَةِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْبَاطِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النُّسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للإعلام بالأخطاء الطبّاعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجى المراسلة على البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

الحمد لله الذي جعلَ الحَجَّ مقامًا للتَّعليم، وهَدَى فيه مَنْ شاءَ مِنْ عِباده إلى الدِّينِ
الْقويم، وأشهدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَجَّ الْحُجَّاجُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرَةٌ وَفَدَ الْحَاجُّ.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذا شَرَحَ (الكتاب الأول) من برنامج (تعليم الحُجَّاج) في سِتَّةِ الرَّابِعَةِ سِتِّ
وِثْلَاثِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ وَأَلْفٍ، وهو كتاب «معاني الفاتحة وقصار المُفَصَّل»، لِمُصَنِّفِهِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ.





قال المصنف رحمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل القرآن لكل شيء تبياناً، ورزق به من شاء من عباده علماً وإيماناً، والصلاة والسلام على رسوله محمد المُنزل عليه، وعلى آله وصحبه ومن انتمى في الهدى إليه.

أمّا بعد:

فإن معرفة آحاد المفردات؛ تُعين على فهم الجمل الكليات، ومعرفة معاني كَلِم القرآن؛ تُيسر إدراك ما له من الهدى والبيان.

وهذه نبذة مختصره، وتُحفة مُعتصره، من الموضح المُحصّل، في معاني كلمات سورة الفاتحة وقصار المفضل، والله المسؤول المُؤمل، أن يعفو ويتقبل.



قال الشارح وفقه الله:

ابتدأ المصنف - وفقه الله - كتابه بالبسملة، ثم أَرَدَها - (حمد الله)، وحمد

الله سبحانه وتعالى على أمرين:

- أحدهما: أن (جعل القرآن لكل شيء تبياناً)؛ أي موضحاً مُبيناً له.

- والآخر: أَنْ (رَزَقَ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ عِلْمًا وَإِيمَانًا). فالقرآن يُثَمِّرُ فِي
النُّفُوسِ: الْعِلْمَ، وَالْإِيمَانَ.

فَحَمِدَ الْمُصَنِّفَ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ؛ تَعْظِيمًا لِمَقَامِهِمَا، وَتَنْوِيهًا
بِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمَا.

ثُمَّ ثَلَّثَ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.
ثُمَّ ذَكَرَ مَنْفَعَةَ مَعْرِفَةِ أَحَادِ الْمُفْرَدَاتِ؛ فَقَالَ: (فَإِنَّ مَعْرِفَةَ أَحَادِ الْمُفْرَدَاتِ؛ تُعَيِّنُ
عَلَى فَهْمِ الْجُمْلِ الْكُلِّيَّاتِ)؛ فَجُمِّلَ الْكَلَامُ لَا يُرْتَقَى إِلَى فَهْمِهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَعَانِي
أَحَادِ مُفْرَدَاتِهَا.

ف (الكلام) نوعان:

- أحدهما: جُمْلٌ مُرَكَّبَةٌ.

- والآخر: مُفْرَدَاتٌ مُرْسَلَةٌ.

وَالْجُمْلُ الْمُرَكَّبَةُ مَبْنِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْمُفْرَدَاتِ؛ فَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى فَهْمِ الْجُمْلِ
الْمُرَكَّبَاتِ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَعَانِي أَحَادِ الْمُفْرَدَاتِ.

فَإِذَا سَمِعْتَ كَلَامًا وَوَعَيْتَ مَعَانِي مُفْرَدَاتِهِ، أَمَكَّنَكَ أَنْ تَعَيَّ مَعَانِي جُمْلِهِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَمَعْرِفَةُ مَعَانِي كَلِمِ الْقُرْآنِ؛ تُيسِّرُ إدْرَاكَ مَا لَهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ)؛
فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ هُدًى وَبَيَانٍ، وَبُلُوغٌ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ مَوْقُوفٌ عَلَى
مَعْرِفَةِ مَعَانِي كَلِمِهِ؛ فَإِذَا عَرَفْتَ مَعَانِي كَلِمِ الْقُرْآنِ تيسَّرَ لَكَ إدْرَاكَ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى

والبيان.

فمثلاً: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، لا تَطَّلِع على ما فيه من الهدى والبيان إِلَّا باطِّلاعك على معاني مفردات تلك الجُمْلَةِ؛ بَأَنْ تعرفَ معنى (الحَمْدُ)، ومعنى (الله)، ومعنى (الرَّبِّ)، ومعنى (العالمين).

فإذا وَعَيْتَ معاني هذه المفردات الأربع، أَمْكَنَكَ أَنْ تُدْرِكَ ما في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من الهدى والبيان.

ثُمَّ قَالَ: (وهذه نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ، وَتُحْفَةٌ مُعْتَصِرَةٌ)؛ أي شيءٌ قَلِيلٌ يَسِيرٌ؛ دَعَا إِلَى اختصاره رجاءُ تَمَامِ المنفعة به؛ فَإِنَّ الكلامَ يُخْتَصَرُ لِيُوعَى وَيُفْهَمَ.

وقاعدة الشريعة: بناءُ الأدلَّةِ والأحكام فيها على الاختصار.

وَمِنَ المناقبِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، والمواهبِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ اخْتَصَرَ لَهُ الكلامَ اختصارًا؛ فَأُوتِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وجوامعَهُ؛ فَكَانَ يُجْمَعُ لَهُ المعنى الجليل في الكلام القليل.

وتلك النُّبْذَةُ الْمُخْتَصَرَةُ والتُّحْفَةُ الْمُعْتَصِرَةُ مَحَلُّهَا مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: (مِنَ الْمُؤَضِّحِ الْمُحَصَّلِ، فِي معاني كلمات سورة الفاتحة وقصار المفصل)، فالْمَذْكُورُ فِي طَيَّاتِ هَذَا الْكِتَابِ يَتَعَلَّقُ بِقَدْرِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ هُوَ الْفَاتِحَةُ وَقِصَارُ الْمُفَصَّلِ.

والمُرَادُ بـ (الفاتحة): فاتحة الكتاب؛ وهي سورة الحمد.

والمراد بـ (قِصار المُفَصَّل): السُّور القِصار في آخر المصحف؛ المبدوءة بـ (سورة الضُّحى).

فإنَّ القرآنَ حُزَّبَ أَحْزَابًا، وَجُعِلَ أَقْسامًا وَأَجْزَاءً، وَآخِرُهَا: حِزْبُ المُفَصَّل، ومُبْتَدُؤُهُ فِي أَصَحِّ الْأَقْوال: سورة (ق)، وهو مُنْقَسِمٌ عَلَى أَقْسامٍ ثَلَاثَةٍ:

- أَوَّلُهَا: طِوال المُفَصَّل.
- وَثانِيها: أَوْساط المُفَصَّل.
- وَثالثها: قِصار المُفَصَّل.

فأَمَّا الْقِسمُ الْأَوَّل - وهو طِوال المُفَصَّل - فَمُبْتَدُؤُهُ: سورة (ق).
وأَمَّا الْقِسمُ الثَّانِي - وهو أَوْساط المُفَصَّل - فَمُبْتَدُؤُهُ: سورة (النَّبَأ).
وأَمَّا الْقِسمُ الثَّالِث - وهو قِصار المُفَصَّل - فَمُبْتَدُؤُهُ: سورة (الضُّحى).

فالمذكور في هذا الكتاب مُقْتَصِرٌ عَلَى جَمْلَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآن:

- إِحْداهما: سورة الفاتحة.
- والأُخْرى: قِصار المُفَصَّل.

والدَّاعي إِلَى اقْتِصاره عليهما:

- هو أَنَّ الفاتحةَ أَعْظَمُ سُورِ الْقُرْآن.
- وَأَنَّ قِصارَ المُفَصَّل هي أَكْثَرُ السُّور دَوْرانًا عَلَى الْأُلسَنَةِ؛ فَإِنَّ مُحْفَوظَ جَمْهورِ الْمُسْلِمِينَ: قِصارَ المُفَصَّل؛ فَهُمْ يُكْرِّرون قِراءَتَها فِي صَلَواتِهِمْ وَغَيرِها؛ فَحَقِيقٌ بِهِمْ أَنْ يَعتَنُوا بِمَعْرِفَةِ مَعانِيها.

ثُمَّ خَتَمَ مُقَدِّمَتَهُ مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ دَاعِيًا إِيَّاهُ: (أَنْ يَعْفُوَ وَيَتَقَبَّلَ).

■ و(العَفْوُ) مُتَعَلِّقُهُ: الْعَمَلُ السَّيِّئُ.

■ و(التَّقَبُّلُ) مُتَعَلِّقُهُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

فَإِنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ كُلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى نَوْعَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

- وَالْآخَرُ: الْعَمَلُ السَّيِّئُ.

فَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ رَبَّهُ — (الْعَفْوُ) فَمَرَجُوهُ فِي دَعَائِهِ: أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْ زَلَلِهِ فِيمَا

اِقْتَرَفَ مِنْ سَيِّئِ الْعَمَلِ.

وَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ رَبَّهُ (أَنْ يَتَقَبَّلَ) فَمَرَجُوهُ: أَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلَهُ الصَّالِحَ.

وَالدُّعَاءُ — (التَّقَبُّلُ) هُوَ الْأَكْمَلُ، الْمُوَافِقُ دَعَاءَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَدْعُوا

قَطُّ بِقَوْلِهِمْ: (رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا) وَهُوَ الدُّعَاءُ بِالْقَبُولِ، وَلَكِنْ دَعَوْا رَبَّهُمْ — (التَّقَبُّلُ)

فَقَالُوا: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا).

و(التَّقَبُّلُ) أَعْلَى مِنَ (الْقَبُولِ)؛ فَإِنَّ (التَّقَبُّلَ) يَجْمَعُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

✓ أَحَدُهَا: صِحَّةُ الْعَمَلِ، وَبَرَاءَةُ ذِمَّةِ الْعَبْدِ مِنَ الطَّلَبِ.

✓ وَثَانِيهَا: حَصُولُ الْأَجْرِ عَلَى الْعَمَلِ.

✓ وَثَالِثُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ الْعَامِلِ وَرِضَاهُ عَنْهُ.

فَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ رَبَّهُ بِقَوْلِهِ: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) كَانَ مَطْلُوبَهُ هُوَ إِدْرَاكُ هَذِهِ الْأُمُورِ

الْثَلَاثَةِ.

قال المصنف رحمه الله:

معاني سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

﴿الله﴾: عَلَّمَ على (رَبَّنَا)، ومعناه: المألوه المستحق لإفراده بالعبادة.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (ومعناه: المألوه)؛ أي المعظم بالحب والخضوع.

فإن حقيقة (التأليه) ترجع إلى وجود هذين المعنيين؛ فإذا انطوى القلب في
العمل على حب الله، والخضوع له = سمي ذلك (تأليهاً)، وكان الله مألوهاً، والعبد
مُتأليهاً.

فمدار العبادة على الحب والخضوع.

وإلى ذلك أشرت بقولي:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ وَخُضُوعُ قَاصِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَالذُّلُّ قَيْدٌ مَا أَتَى فِي وَحِينَا وَالْوَحْيُ - قَطْعًا - أَكْمَلُ التَّبَيَّنِ



قال المصنف وفقه الله:

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان من أسمائه تعالى، دالّان على رحمته.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أنَّ (الرَّحْمَنَ، والرَّحِيمَ) اسمان من أسماء الله تعالى.

فإنَّ لله أسماءً حُسْنَى؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية.

وهذان الاسمان دالّان على رحمته؛ إذ كُلُّ اسمٍ من أسماء الله فيه صِفَةٌ لِرَبَّنَا أو أكثر؛ فاسم (الرَّحْمَنَ) فيه صِفَةٌ (الرَّحْمَةُ)، واسم (الرَّحِيمَ) فيه صِفَةٌ (الرَّحْمَةُ).

فقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ دالٌّ على أمرين:

✓ أحدهما: إثبات أنَّ (الرَّحْمَنَ، والرَّحِيمَ) من أسماء الله الحُسْنَى.

✓ والآخر: إثبات أنَّ (الرَّحْمَةُ) صِفَةٌ من صفاته العُلا.

وطريق استفادة صِفَةِ (الرَّحْمَةُ) له، من إثبات اسم (الرَّحْمَنَ، والرَّحِيمَ) له.

فالأسماء الإلهية من دلائل الصفات الربّانية، وإلى ذلك أشرت بقولي:

أَسْمَاءُ رَبَّنَا عَلَى الصِّفَاتِ مِنْ الْأَدِلَّةِ لِذِي الْإِثْبَاتِ

والفرق بين هذين الاسمين:

- أَنَّ (الرَّحْمَنَ): اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى دَالٌّ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَةِ حَالٌ تَعَلَّقُهَا بِذَاتِهِ.
- وَ (الرَّحِيمَ): اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى دَالٌّ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَةِ حَالٌ تَعَلَّقُهَا بِالْمَرْحُومِينَ الَّذِينَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ.

ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ».

وإلى ذلك أشرتُ بقولي:

وَرَحْمَةً لِلَّهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ	بِذَاتِهِ فَالِاسْمُ (رَحْمَنٌ) ثَبَتَ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمَ	فَسَمُّهُ (الرَّحِيمَ) فَازَ مَنْ سَلِمَ



قال المصنف وفقه الله:

﴿الْحَمْدُ﴾: هو الإخبار عن محاسن المَحْمُود مع حُبِّه وتعظيمه.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنف في حقيقة (الحمد) يُبين أنَّ (الحمد) مُركَّبٌ من

أمرين:

✓ أحدهما: الخبر عن محاسن المَحْمُود؛ أي وجوه حُسْنِهِ الدَّالَّةُ على

كمالِهِ.

✓ والآخر: اقتران ذلك الخبر بحُبِّه وتعظيمه.

فَحَمْدُنَا رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَامِعٌ لِلأمرين؛ فنحنُ إذا حمَدنا الله فإنَّنا نُخبر عن

وُجُوهِ حُسْنِهِ مِنْ صفات كمالِهِ، مع حُبِّنا له وتعظيمنا إيَّاه.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿رَبِّ﴾: الرَّبُّ في كلام العرب: المالكُ، السيّدُ، والمُصلِحُ للشيء.



قال الشّارح وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - أنَّ مرَدَّ معنى كلمة (الرَّبِّ) في لسان العرب إلى

ثلاثة معانٍ:

- أحدها: المالك.
- وثانيها: السيّد.
- وثالثها: المُصلِح للشيء؛ أي القائم على تدبير شؤونه بما يُصلِحُه في العاجل والآجل.

وإلى هذه المعاني أشرتُ بقولي:

سَيِّدُهُمْ وَمَالِكُ وَالْمُصْلِحُ لِـ (الرَّبِّ) مَعْنَى فِي اللِّسَانِ صَرَّحُوا

فإلى هذه المعاني الثلاثة ترجع كلمة (الرَّبِّ) في الوَضْع العربيّ؛ ذكره ابن

الأنباريّ وغيره.

ووسّع المتأخرون القول في معاني (الرَّبِّ)، حتّى بلغها أحمدُ بنُ أحمدَ

السُّجاعيّ الأزهريّ ثلاثين معنى، ترجع - عند التأمّل - إلى هذه المعاني الثلاثة.

قال المصنف وفقه الله:

﴿اعْلَمَيْتَ﴾: جَمْعُ (عَالَمٍ)؛ وهو اسْمٌ للأفراد المتجانسة من المخلوقات؛ فكلُّ جنسٍ منها يُطلق عليه (عَالَمٌ)؛ فيقال: (عَالَمُ الْإِنْسِ، وعَالَمُ الْجِنِّ، وعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ).



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أَنَّ (العالمين) في لسان العرب: (جَمْعُ (عَالَمٍ))؛ ثُمَّ بَيَّنَ معنى (العالم) بقوله: (وهو اسْمٌ للأفراد المتجانسة من المخلوقات)؛ أي المُشْتَرَكَة في جنسٍ واحدٍ.

فالمخلوقات المُشْتَرَكَة في جنسٍ واحدٍ تُسمَّى (عَالَمًا).

والْحُكْمُ على المخلوقات باشتراكها في جنسٍ عُمْدَتُهُ: كلام العرب، لا مُواضعاتُ المُتَأَخِّرِينَ في علومهم.

فإنَّ مُتَأَخِّرِي أَهْلِ الْعُلُومِ تَوَاطَوْا على وَضْعِ اصطلاحاتٍ يَجْمَعُونَ فيها أشياءً مُتَفَرِّقَةً باعتبار علومهم، لكنَّها لا تكون كذلك باعتبار الوضع العربي.

فإذا أردتَ أَنْ تعلمَ كَوْنَ شيءٍ (عَالَمًا) وَجَبَ أَنْ تنظرَ في لسان العرب: هل يُعَدُّونَ أفرادَه جنسًا مُشْتَرَكًا أم لا؟

فإذا وُجِدَ في كلامهم ذلك سُمِّيَ (عَالَمًا)؛ كالمذكور في قوله: (فكلُّ جنسٍ

منها يُطلق عليه (عالمٌ)؛ فيقال: (عالمُ الإنس، وعالمُ الجن، وعالمُ الملائكة).

- فالأفراد المُشتركة من تلك الأجناس سُميت (عالمًا).
- وإذا لم تكن الأفراد مُتجانسةً - لاختلافها أو انفرادها - لم تُسمَّ (عالمًا).

فمثلاً: العرشُ الإلهيُّ فردٌ لا شريكَ له من جنسه.
ومثله: الكرسيُّ الإلهيُّ المذكورُ في آية الكرسيِّ؛ فهو فردٌ لا شريكَ له في جنسه.

وكذا: الجنة والنار؛ فلا شريكَ لهما في جنسهما.

= فهذه مخلوقاتٌ منفردةٌ، لا جنسَ لها.

فالمخلوقات نوعان:

- أحدهما: الأفراد المُتجانسة؛ وهي المُشتركة في جنسٍ واحدٍ؛ كالجنِّ والإنس والملائكة.

- والآخر: المخلوقات المنفردة؛ وهي المُستقلة برأسها؛ فلا تُسمَّى (عالمًا)؛ لأنها لا يجمعها مع غيرها جنسٌ؛ كالعرش والكرسيِّ الإلهيين، والجنة والنار اللتين هما دار الجزاء.

ويختصُّ (العالم) بالأفراد المتجانسة، ولا يُسمَّى غيره (عالمًا).

والحكم بكون أشياء مختلفة هي جنسٌ مرده إلى الكلام العربي.

فمثلاً: ما يُمكن أن يُقال عن هذه الأربع (العرش، والكُرسي، والجَنَّة، والنَّار) بأنَّها أفرادٌ متجانسةٌ و(عالمٌ) باعتبار كَوْنِها (جماداتٍ): هو غلطٌ على لسان العرب، ومُخالفٌ لأسرار الله في مخلوقاته؛ فإنَّ اسم (الجَمَاد) في عُرْف مُتَأخري علومِ أهله ليس مُوافقاً لِوَضْع الخطاب الشرعيِّ.

فالنبات والجدار وغيرهما لا يُحكَم عليها عند علماء المعرفة المُتأخرين بأنَّها من الأحياء، أي ما لها صفاتُ الحيِّ؛ كالعلم والإرادة وغيرهما.

وأما في الخطاب الشرعيِّ: فجاء إثباتُ صفاتٍ - كالعلم، والحياة، والإرادة - لِمَا يُسمِّيهِ النَّاسُ في معارفهم العصريَّة (جماداً).

فلا بُدَّ من التَّفريق بين الوَضْع الشرعيِّ واللُّغويِّ، وبين الطَّارئ في المعارف المُتأخِّرة.

ولا يُفسَّر خطاب الشرع بهذا الطَّارئ.

ومنه مثلاً: الجاري في عُرْف علماء الهَيْئَةِ الحديثَةِ في الفَلَك من التَّفريق بين (الكوكب، والنَّجم)؛ بأنَّ (الكوكب: جُرمٌ مُعتمٍ)، وأنَّ (النَّجم: جُرمٌ مُضيءٌ)؛ فإنَّ هذا المعنى لا يُساعد عليه القرآن، ومن الغَلَط: تفسير (النَّجم والكوكب) في القرآن خاصَّةً وفي الخطاب الشرعيِّ عامَّةً بتفسير هؤلاء.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء على الأعمال.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنّف - وفقه الله - يدلُّ على أَنَّ (الدِّين) جامعٌ بين أمرين:

✓ أحدهما: الحساب؛ وهو مُقدِّمته.

✓ والآخر: الجزاء؛ وهو خاتِمته.

فالعبد يُحاسب أولاً، ثُمَّ يُجزى ثانياً.

وَكُونُ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَا يُحَاسَبُ تَفْضُّلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً لَا يَرْفَعُ هَذَا الْأَصْلُ؛

فإِنَّ الْأَصْلَ: عَمُومُ الْحِسَابِ لِلْخَلْقِ، وَرَفَعُهُ عَنْ بَعْضِهِمْ - كَالسَّبْعِينَ أَلْفًا، وَمَنْ

يَتَّبِعُهُمْ - فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَخُصُّكَ وَحَدَّكَ بِالْعِبَادَةِ.

﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستعينُ بك وحدك في جميع أمورنا.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - في تفسير هاتين الجملتين من هذه الآية ما يدلُّ

على إرادة تخصيص الله بما ذُكِرَ فيها؛ فقال: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَخُصُّكَ وَحَدَّكَ

بالعبادة)، (﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستعينُ بك وحدك في جميع أمورنا).

والتَّخصيص المذكور مُستفادٌ من تقديم ما حَقَّه التَّأخير؛ فإنَّ تقدير الكلام:

(نَعْبُدُ إِيَّاكَ، ونستعينُ إِيَّاكَ).

فلَمَّا قُدِّمَ ما حَقَّه التَّأخير؛ فقال الله: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) عُلِمَ أَنَّ

المُرَاد: هو إفادة تخصيص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذلك.

فلا يُجَعَلُ شيءٌ من العِبادة لغيره، ولا يستعينُ العبد في تحقيق مطلوباته

والوصول إليها إِلَّا به عَزَّوَجَلَّ.

وهذا التَّخصيص يُسمَّيه علماء المعاني بـ (القَصْر)، ويُسمَّيه الأصوليون بـ

(الحَصْر).

وإلى معناه أشار الأَخْضَرِيُّ في «الجواهر المكنون» بقوله:
تَخْصِيصُ أَمْرٍ مُطْلَقٍ بِأَمْرٍ هُوَ الَّذِي يَدْعُوْنَهُ بِـ (الْقَصْرِ)



قال المصنف وفقه الله:

﴿أَهْدِنَا﴾: دُلَّنَا وَأَرْشِدْنَا.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أَنَّ قول الله في سؤال الخلق: ﴿أَهْدِنَا﴾ مرادهم فيه: (دُلَّنَا وَأَرْشِدْنَا)؛ فَهُمْ يَسْأَلُونَ الله عَزَّوَجَلَّ الدَّلَالََةَ وَالْإِرْشَادَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

والهداية التي يطلب العبد حصولها من الله إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ نوعان:

- أحدهما: هداية وصول إليه.

- والآخر: هداية ثبات عليه.

فأنت بقولك: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

○ تسأل الله أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى معرفة الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وهو دين الإسلام

- كما يأتي -، بمعرفة ما فيه من الخبر والطلب.

○ وتسأله سبحانه أَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَيْهِ.

فالواصلون إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُفْتَقِرُونَ أَشَدَّ الْفَتْقَارِ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهِ

حَتَّى يَلْقُوا رَبَّهُمْ عَزَّوَجَلَّ.

وقول أحدنا في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) مع كونه مُسَلِّمًا،
دعاءً يُضْطَرُّ إليه أشدَّ الاضطرار.

ومنفعة دعاء المسلم بالهداية إلى الصِّراط المستقيم ترجع إلى أمرين:

* أحدهما: دوام هداية الله له في أفراد الخبر والطلب.

فإنَّك أيُّها المسلم المَهْدِيُّ إلى الصِّراط المستقيم مُفْتَقِرٌ في كُلِّ خَبَرٍ وَطَلَبٍ
إلى أَنْ يَهْدِيكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلى محبوبه فيه.

فأنت إذا قصدت الصَّلَاةَ مُفْتَقِرٌ إلى أَنْ يَهْدِيكَ اللهُ إلى مَحْبُوبِهِ في تلك الصَّلَاةِ.

* والآخر: ثباتك على ما هُديت إليه من الإسلام.

فإنَّ القلوب بين أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، مَنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَهُ.

فالمسلم المَهْتَدِي إلى الصِّراط المستقيم مُضْطَرُّ إلى سؤال الله أَنْ يُثَبِّتَهُ على

الصِّراط المستقيم حَتَّى يَلْقَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿الصَّراطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾: الإسلام.



قال الشارح وفقه الله:

فسر المصنف - وفقه الله - الصَّراط المستقيم بـ (الإسلام)؛ لأنه ثبت تفسيره به عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النّوّاس بن سمعان عند أحمد بإسنادٍ حسنٍ.

والمراد به: الصَّراط الدُّنيويُّ؛ فإنَّ اسم (الصَّراط) يقع على اثنين:

- أحدهما: الصَّراط الدُّنيويُّ؛ وهو دين الإسلام.

- والآخر: الصَّراط الأُخرويُّ؛ وهو جِسْرٌ منصوبٌ على متن جهنّم.

فقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصَّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُراد به سؤال الله عزَّ وجلَّ أنْ يهديه إلى

الصَّراط الدُّنيويِّ، وهو الإسلام.

ومن دقائق تَصَرُّفات خطاب الشَّرع: أنَّ الصَّراط الدُّنيويَّ وُصِفَ بالاستقامة؛

فقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصَّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أمَّا الصَّراط الأُخرويُّ: فلم يُوصَف

بالاستقامة، بل يُذكر بِاسْم (الصَّراط) فقط.

والدَّاعي لذلك: أنَّ الطُّرُق المُدَّعى أنَّها تُوصِل إلى الله وِرْضوانه في الدُّنيا

كثيرةٌ.

فأرباب الضَّلال كُلُّهم يدَّعي أنَّ ما هو عليه هو الحقُّ؛ فاليهود والنَّصارى

والمشركون والشُّيُوعِيُّونَ وأُضْرَابُهُمْ يَدْعُونَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ؛ فَمُيِّزَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِوَصْفِ (الاستقامة).

فَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ وَالطَّرِيقَ الْقَوِيمَ فِي الدُّنْيَا وَاحِدٌ؛ هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَمُيِّزٌ عَنْ غَيْرِهِ بِوَصْفِ (الاستقامة).

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَلَا طَرِيقَ يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَدَارِ كِرَامَتِهِ إِلَّا صِرَاطٌ وَاحِدٌ؛ فَلَا يُدْعَى غَيْرُهُ وَلَا يُوجَدُ سِوَاهُ؛ فَلَمْ يُحْتَجْ إِلَى تَمْيِيزِهِ بِوَصْفِ (الاستقامة).



قال المصنف وفقه الله:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: الْمُتَّبِعِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَهُمْ الْيَهُود.

﴿الضَّالِّينَ﴾: الَّذِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ عَنْ جَهْلٍ فَلَمْ يَهْتَدُوا وَضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَهُمْ

النَّصَارَى.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنف - وفقه الله - في هذه الآيات الثلاث يُبَيِّنُ افتراق

الْخَلْقِ إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:

- فالفرقة الأولى: الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ وَهُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِدِينِ الْإِسْلَامِ.
- والفرقة الثانية: الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَهُمْ الْيَهُود.
- والفرقة الثالثة: الَّذِينَ ضَلُّوا، وَهُمْ النَّصَارَى.
- فالفرقة الأولى: تَجْمَعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.
- والفرقة الثانية: لَهُمْ عِلْمٌ، لَكِنْ لَا عَمَلَ عَنْدهُمْ؛ فَهُمْ يَتْرَكُونَ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ.
- والفرقة الثالثة: هُمْ يَعْمَلُونَ، لَكِنْ بِلَا عِلْمٍ.

فَالَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَّا هُوَ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، فَتَحَرَّ عِلْمَكَ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، ثُمَّ عَمَلَكَ بِهِ.

فَالْحَاجُّ - مثلاً - يَكُونُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ إِذَا اجْتَهِدَ أَوَّلًا فِي الْعِلْمِ بِالنَّاسِكِ، ثُمَّ اجْتَهِدَ ثَانِيًا فِي الْعَمَلِ بِذَلِكَ الْعِلْمِ.

وَلَا يَكُونُ الْحَاجُّ مُنْعَمًا عَلَيْهِ إِذَا كَانَ فِعْلُهُ لِلْمَنَاسِكِ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ مُتَتَهًى أَخَذَهُ الْمَنَاسِكُ مِمَّا يَرَى عَلَيْهِ النَّاسُ دُونَ بَيِّنَةٍ، أَوْ يَسْأَلُ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ.

كَرَجُلٍ رَأَيْتُهُ فِي الْمَسْعَى أَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ مِمَّنْ يَدْفَعُ بِالْعَرَبَاتِ، فَسَأَلَهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ السَّعْيِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ؛ فَهَذَا مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ فِعْلُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]؛ أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَا أَنْ يَسْأَلَ الْمَرْءُ مَنْ اتَّفَقَ لَهُ وَجُودُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَقَدْ هَيَّئَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ أَمَاكِنُ مُعَيَّنَةٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ مِمَّا يَتَّبِعُ لَوِزَارَةِ الشُّعُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ لِلرَّئِاسَةِ الْعَامَّةِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ؛ فَإِذَا أَرَادَ الْحَاجُّ أَنْ يَسْأَلَ قَصْدَ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ إِذَا عَرَفَ عِلْمَ مَنَاسِكِهِ عَمَلًا بِهِ؛ فَمَتَى جَمَعَ بَيْنَهُمَا صَارَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ فِي الْحَجِّ. وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ عَادَةً مُطَرَّدَةً لَهُ فِي دِينِهِ كُلِّهِ صَارَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، الْجَامِعِينَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

فإن كان يعمل بلا علم تُخَوَّف عليه الضَّلال، أو كان له علم لكن لا يعمل به تُخَوَّف عليه الغَضَبُ، فيقع له مُشَابَهة اليهودِ أو النَّصارى فيما كانوا عليه.

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أُضِيف فيه الصُّرَاطُ إلى الخَلْق السَّالِكِينَ له.

وأُضِيفَ في موضعٍ آخرَ من القرآنِ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية.

والفرق بين الإضافتين:

- أَنَّ إضافته إلى الله هي باعتبار أَنَّهُ واضعه وشارعه.
- وإضافته إلى الخَلْق باعتبار أَنَّهُم سالكوه السَّائِرُونَ عليه.



قال المصنف رحمه الله:

معاني سورة الضحى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ ﴿مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى].

﴿وَالضُّحَى﴾: اسم ضوء الشمس إذا أشرق وارتفع. والمراد به هنا: النهار كله.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (والمراد به هنا: النهار كله) فيه إشارة إلى وقوعه على غير هذا المعنى في موضع آخر من القرآن؛ فإنَّ (الضحى) في القرآن يجيء على معنيين:

- أحدهما: معنى عام؛ وهو النهار كله.

وعلامته: مُقَابَلَتُهُ بـ (الليل)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ٢٩ ﴿

[النَّازِعَات]، وقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾، ف (الضُّحَى) في الآيتين مُقَابِلُ بـ (اللَّيْل)؛ فيكون اسماً للنَّهَارِ كُلِّهِ.

• والآخر: معنًى خاصٌّ؛ وهو أوَّل النَّهَارِ.

وعلامته: مُقَابِلَتُهُ بـ (العَشِيَّة) آخر النَّهَارِ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ٤٦﴾ [النَّازِعَات].



قال المصنّف وفقه الله:

﴿سَجَى﴾: سَكَنَ بالخلق، وثَبَّتَ ظَلامُهُ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

قول المصنّف: (و**ثَبَّتَ ظَلامُهُ**) أي تَمَكَّن واستحكم. فـ (التَّسْجِيَّة): التَّغْطِيَّة المُمْتَكِنَة.

ولا تكون وَضْفًا لـ (اللَّيْلِ) إِلَّا إِذَا سَكَنَ وَقَوِيَ ظَلامُهُ.

ومُبْتَدَأُ (اللَّيْلِ) يُسَمَّى (تَغْشِيَّةً)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) [اللَّيْلِ]؛ فـ (الْغِشَاءُ): اسْمٌ لِلْغَطَاءِ الْخَفِيفِ؛ أي الرَّقِيقِ الَّذِي يُشْفُ عَمَّا وِراءَهُ، فيبتدئ اللَّيْلُ بتَغْشِيَةِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَشَيْئًا غَطَاءً خَفِيفًا، فإذا تَمَادَى واستحكم سُمِّيَ هذا (تَسْجِيَّةً)؛ وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (٢).



قال المصنف وفقه الله:

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: ما تركك.

﴿وَمَا قَلَى﴾: وما أبغضك.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أنَّ (القلى) في الآية: معناه البغض؛ فقوله تعالى:

(﴿وَمَا قَلَى﴾): أي (وما أبغض).

والمراد بـ (البغض) المنفي هنا: نفى بغض الله رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أنَّ

الله لم يضيفه إلى نفسه؛ فقال: (﴿مَا وَدَّعَكَ﴾) مضيفاً ذلك إلى نفسه المقدسة

سبحانه، ولم يقل: (وما قلاك)، بل قال: (﴿وَمَا قَلَى﴾)؛ ففرق بينهما.

وسياق الكلام: أنَّ المعنى كذلك؛ فقوله: (﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ٣): أي

وما قلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلم يقل الله: (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وما قلاك)، بل قال:

(﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ٣).

والداعي إلى ذلك: تباعد وقوع بغضه سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم، فلمحو

ذلك من النفوس وتبعيده أشدَّ البعد قال الله: (﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ٣).

وما يقع في كلام متأخري المفسرين في مثل هذا الموضع من قولهم: (بأنه

وَقَعَ رَعَايَةً لِلْفَاصِلَةِ؛ أي ليقع التشابه بين أواخر الآي بالألف المقصورة في قوله: ﴿وَالضُّحَى﴾، وقوله: ﴿سَبْحَى﴾، وقوله: ﴿قَلَى﴾ = إِنَّمَا يَصْلُحُ مِثْلُهُ في كلام المخلوق الَّذِي يَتَكَلَّفُهُ.

وَأَمَّا كَلَامُ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ: فكَمَالُهُ فوق هذا.

فَلَا يَصِحُّ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ وَقَعَ رَعَايَةً لِلْفَاصِلَةِ - أي طَلَبًا لِلْفَصِيحِ مِنْ الْكَلَامِ فِي مُوَافَقَةِ فَوَاصِلِ الْآيِ بَعْضُهَا بَعْضًا لِيَتَحَقَّقَ السَّجْعُ -؛ فَإِنَّ هَذَا مَطْلُوبُ الْمَخْلُوقِ النَّاقِصِ فِي كَلَامِهِ وَبَيَانِهِ، وَأَمَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الَّذِي لَهُ أَكْمَلُ الْوَصْفِ فِي كَلَامِهِ وَبَيَانِهِ: فغَيْرُ مُفْتَقِرٍ إِلَيْهِ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾: وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ دَارِ الدُّنْيَا.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ دَارِ الدُّنْيَا)، هذه الخيرية هي من باب أَفْعَل التَّفْضِيل، فقوله: (﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ﴾): أي أَخِيرَ لَكَ.

والمراد بـ (أَفْعَل التَّفْضِيل) هنا: أي هي أعظمُ خيراً لَكَ مِنَ دَارِ الدُّنْيَا.

وقولهم: (خَيْرٌ، وَشَرٌّ) هما من باب (أَفْعَل التَّفْضِيل)؛ فَأَصْلُهُمَا: (أَخِيرٌ، وَأَشَرٌّ)، فإذا قُلْتَ: (فَلَانٌ خَيْرُ النَّاسِ) أي أَخَيْرُهُمْ، وإذا قُلْتَ: (فَلَانٌ شَرُّ النَّاسِ) أي أَشَرُّهُمْ.

لكنَّ العربَ لكثرة استعمالهم هاتين الكلمتين في التَّفْضِيل سَهَّلُوهُمَا بِإِسْقَاطِ

الهِمزة (الألف)، وإلى ذلك أشار ابن مالك في «الكافية الشافية» بقوله:

وَعَالِبًا أَغْنَاهُمْ خَيْرٌ وَشَرٌّ عَنْ قَوْلِهِمْ: (أَخِيرٌ مِنْهُ وَأَشَرٌّ)



قال المصنّف وفقه الله:

﴿فَأَوِّى﴾: فَضَمَّكَ إِلَى مَنْ يَكْفُوكَ، وَجَعَلَ لَكَ مَأْوًى تَأْوِي إِلَيْهِ.

﴿ضَالًّا﴾: لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - أَنَّ الضَّلالَ الَّذِي جُعِلَ وَصْفًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

معناه: (لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)؛ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]؛ أَيِ كُنْتَ غَافِلًا عَمَّا يُرَادُ بِكَ مِنْ إِنْزَالِ الْكِتَابِ

عَلَيْكَ وَأَمْرِكَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْإِيمَانِ.

وَمُتَابَعَةُ خَبَرِ الْقُرْآنِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَنَابِ النَّبَوِيِّ أَكْمَلُ وَأَتَقَى مِنْ أَنْ يَتَجَرَّأَ

الْعَبْدُ عَلَى تَفْنِينِ الْكَلَامِ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الضَّلالِ يَذْكُرُهَا تَفْسِيرًا لِهَذِهِ الْآيَةِ.

وَالْكَلَامُ عَنِ الْجَنَابِ النَّبَوِيِّ وَالْمَقَامِ الْمُحَمَّدِيِّ يُسَلِّكُ فِيهِ الْأَدَبُ، وَمِنْ

الْأَدَبِ: الْاِقْتِصَارُ عَلَى خُطَابِ الشَّرْعِ فِيمَا تَعَلَّقَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَدَمُ جَعْلِهِ

مَادَّةً لِلإِنْشَاءِ، بَأَنْ يَبْتَدِئَ الْعَبْدُ مَا شَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ لا يَنْبَغِي أَنْ يُرْسِلَ الْمُتَكَلِّمُ لِسَانَهُ

بِالْقَوْلِ فِي بَيَانِ الضَّلالِ الْمَذْكُورِ بَغَيْرِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كُنْتَ

تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴿[الشُّورَى: ٥٢]﴾، فهذا هو الأمر الذي كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غافلاً عنه، فهداه الله عزَّوَجَلَّ إليه.



قال المصنف وفقه الله:

﴿فَهْدَى﴾: فَدَلَّكَ وَأَرْشَدَكَ.

﴿عَايَلًا﴾: فَقِيرًا.

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾: فَلَا تَغْلِبْهُ مُسِيئًا مُعَامِلَتَهُ.

﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾: فَلَا تَرْجُرْ.



قال الشارح وفقه الله:

(الهداية) المذكورة هنا في قوله: ﴿فَهْدَى﴾ (وَقَعَتْ خَبْرًا).

أَمَّا (الهداية) المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ فوقعت طلبًا.

فقولك: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾، تسأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿٧﴾ أي وَجَدَكَ غَافِلًا عَمَّا يُرَادُ بِكَ فَدَلَّكَ وَأَرْشَدَكَ إِلَيْهِ.

و(الهداية) المُنْعَمُ بِهَا نوعان:

- أحدهما: هداية بيان وإرشاد.
- والآخر: هداية توفيق وسداد.

قال المصنف رحمه الله:

معاني سورة الشرح

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ

ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

[الشرح].

﴿وَوَضَعْنَا﴾: وَحَطَطْنَا.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (وَحَطَطْنَا)؛ أي أَسْقَطْنَا، ف (الْحَطُّ): الإسقاط.



قال المصنّف وفقاسه:

﴿وَزَرَكَ﴾: ذَنْبَكَ.

﴿أَنْقَضَ﴾: أَثْقَلَ.

﴿الْعُسْرُ﴾: الشِّدَّةُ.

﴿يُسْرًا﴾: سَهُولَةً.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧): فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ بِإِتِمَامِهِ فَأَقْبِلْ عَلَى عَمَلٍ آخَرَ.



قال الشارح وفقاسه:

هذا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي مَعْنَى (الْعُسْرُ، وَالْيُسْرُ) هُوَ الْمُرَادُ فِي الْآيَتَيْنِ فِي

قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦)؛ أَيِ فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ سَهُولَةً، إِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ سَهُولَةً.

وَالْمُرَادُ بـ (الْعُسْرُ): الشِّدَّةُ الَّتِي كَانَ يَلْقَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأُخْبِرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ شِدَّةٍ تُحِيطُ بِهِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَعَهَا يُسْرًا؛ أَيِ سَهُولَةً.

وَالْبَشَارَةُ بِهَذَا تَهْوَنُ عَلَى الْعَبْدِ الشِّدَّةَ؛ فَمَا يَعْتَرِي الْعَبْدَ مِنْ شِدَّةٍ تَلْحَقُهُ تَهْوَنُ

عَلَيْهِ مَعَ تَصَدِيقِهِ بِخَبَرِ اللَّهِ أَنَّ كُلَّ شِدَّةٍ تَمْسُهُ سَيُحِيطُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِسَهُولَةٍ مِنْهُ.

فالحاجُّ - مثلاً - يَتَخَوَّفُ العُسْرَ الَّذِي يَلْقَاهُ فِي حَجِّهِ؛ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى مَنَاسِكَهِ
بِإِيمَانٍ وَبِإِقْنَانٍ، وَاسْتَحْضَرَ شَهِودَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ الَّذِي أَمَرَهُ بِالْحَجِّ سَيُعِينُهُ عَلَيْهِ = هَآنُ
مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الْحَجِّ وَانْقَلَبَتْ إِلَى يُسْرٍ؛ فَوَجَدَ تَلَذُّذًا بِأَعْمَالِ الْحَجِّ.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة التين

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾ [التين].

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ (٢): الطُّور: الجبل. وسِينِينَ: لغةٌ في سِينَاءَ، وهي صحراءٌ بين مصرَ وبلادِ فلسطين.

﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣): مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَفَقَّهَ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا مَوْضِعَانِ:

ف (طُورِ سِينِينَ) هُوَ جَبَلُ سِينَاءَ، الصَّحْرَاءُ الْمَعْرُوفَةُ بَيْنَ مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ.

و (الْبَلَدِ الْأَمِينِ) هُوَ مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ؛ سُمِّيَ (أَمِينًا) لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا.

وَتَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ بِإِرَادَةِ مَوْضِعَيْنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ فِي الْآيَةِ

الأولى مَوْضِعٌ أَيْضًا.

فقلوله: ﴿وَالنِّينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) لا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ تَيْنِكَ الشَّجَرَتَيْنِ، بَلِ الْمُرَادُ: الموضع الَّذِي تَنَبَّأَ فِيهِ شَجَرَةُ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بِلَادُ فِلَسْطِينَ؛ فَإِنَّ أَكْمَلَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَأَحْسَنَهُ هُوَ مَا فِي بِلَادِ فِلَسْطِينَ.

فالمذكور في هذه الآيات الثلاث مواضع:

✓ فالموضع الأول: هو فلسطين؛ في الآية الأولى.

✓ والموضع الثاني: هو صحراء سيناء بين مصر وفلسطين.

✓ والموضع الثالث: مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ.

وذكرت هذه المواضع الثلاث لأنها أرض أكثر الأنبياء؛ ففيها نبوءة جَمٍّ غَفِيرٍ من الأنبياء الذين أرسلهم الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي غيرها من الأرض نبوءة بعضهم؛ كنبوءة هودٍ في بلاد الأحقاف جهة اليمن، ونبوءة إبراهيم في بلاد بابل من أرض العراق.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: في نار جَهَنَّمَ.



قال الشارح وفقه الله:

فسّر المصنّف - وفقه الله - ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ بأنّه الرُّدُّ إلى (نارِ جَهَنَّمَ)؛ لِما فيه من مقابلة الامتنان في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤). فأكمل ما يُقابل امتنانَ الله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان بأنّه خُلِقَ في أحسنِ تقويمٍ: هو تخويفه من أن يردّه الله عَزَّوَجَلَّ إلى أسوأ حالٍ؛ وهي الحال التي يكون عليها مَنْ يدخل نارَ جَهَنَّمَ - أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

والخَلْقُ الواقع على أحسنِ تقويمٍ الَّذي جُعِلَ عليه الإنسان نوعان:

- أحدهما: خَلْقُهُ في أحسنِ تقويمٍ في الباطن؛ بالفِطْرَةِ على التَّوْحِيد.
- والآخر: خَلْقُهُ في أحسنِ تقويمٍ في الظَّاهر؛ بما جَعَلَهُ الله عَزَّوَجَلَّ عليه من صورةٍ بَدَنِهِ الظَّاهِرَةِ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مشوب بكدر المَنِّ، ولا يلحقه الانقطاع.

﴿بِالدِّينِ﴾: بالحساب والجزاء على الأعمال.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَفِي الْمَنِّ جَامِعٌ أَمْرَيْنِ:

✓ أحدهما: نَفْيُ شَوْبٍ - يعني خَلْطٍ - الأجرِ بِكَدَرِ الْمَنِّ؛ وهو إظهارُ الإنعامِ مع إبطال استحقاق الإكرام.

فيُظهِر وصول النعمة عليك، ويذكر أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لَهَا؛ وهذا لا يكون من الله؛ بل الله عَزَّوَجَلَّ يُظهِرُ إِنْْعَامَهُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ مُسْتَحِقُّونَ لَهُ؛ قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة، ٢٤] وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور، ١٩].

✓ والآخر: نَفْيُ انقطاع الأجر وزواله.



قال المصنف رحمه الله:

معاني سورة العلق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ ٦ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ٧ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ ٨ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ ٩ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ ١٠ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ١١ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٣ ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٤ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٥ ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ١٦ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ١٧ ﴿[العلق]﴾ ١٨

﴿عَلَقٍ﴾: جَمْعُ عَلَقَةٍ؛ وهي القطعة من الدَّم الغليظ.



قال الشارح رحمه الله:

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - أَنَّ تَفْسِيرَ (﴿عَلَقٍ﴾) فِي قَوْلِهِ: (﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

﴿٢﴾): أَنَّهُ (جَمْعُ عَلَقَةٍ؛ وهي القطعة من الدَّم الغليظ).

فَالدَّم إِذَا غُلِظَ وَصَارَ فِي قِطْعَةٍ مُتَمَاسِكَةٍ سُمِّيَ (عَلَقَةً).

وَأَصْلُ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَجُمِعَ فِي قَوْلِهِ: (﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

(٢) لأمورٍ ثلاثة:

- أوَّلُها: إظهار الامتنان.
- وثانيها: باعتبار تتابعها وتكاثرها بعد تفرُّدها؛ فتكون واحدةً ثُمَّ تتكاثر.
- وثالثها: باعتبار إرادة الجنس في قوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٢)؛
فَيُقَابِلُ الْجِنْسُ بِالْجَمْعِ؛ فَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: (خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ مِنْ عَلَقٍ)؛
فَالْمَجْمُوعُ مُقَابِلٌ بِالْمَجْمُوعِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّاسِ إِنْسَانٌ
مَخْلُوقٌ مِنْ عَلَقَةٍ وَاحِدَةٍ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿بِالْقَلَمِ﴾: بالخط والكتابة.

﴿لَنْسَفَعًا﴾: السفع: القبض الشديد بجذب.

﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: بمقدم شعره.

﴿الزَّبَانِيَةِ﴾: هم ملائكة العذاب، سُمُّوا (زبانية) لأنَّهم يَزُبُّونَ أهل النار؛ أي يدفعونهم بشدة.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: بمقدم شعره؛ أي أعلى الشعر الذي يكون تاليًا الجبهة.

وجعل أخذه بالناصية في قوله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥)؛ لأنَّ مُقَدِّمَ الإنسان هو أعزُّ ما عليه؛ فالحرُّ يأبى أن يُؤخَذَ به؛ لِمَا فِيهِ من الإهانة. فإنَّك إذا أخذتَ أحدًا من مؤخَّر رأسه لم يكن كأخذك له من مُقَدِّم رأسه؛ فالثاني فيه من الإذلال والإهانة ما ليس في الأوَّل.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة القدر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) [القدر].

﴿الْقَدْرُ﴾: الشَّرَفُ الْعَظِيمُ.

﴿وَالرُّوحُ﴾: هُوَ جَبْرِيْلُ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بِأَمْرِهِ.



قال الشارح وفقه الله:

فَسَّرَ الْمَصْنَفُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - ﴿وَالرُّوحُ﴾ بِقَوْلِهِ: (هُوَ جَبْرِيْلُ)، فَكَيْفَ يَكُونُ

ذَلِكَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]؟!

وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِأَن يُقَالَ: إِنَّ (الرُّوحَ) يَقَعُ فِي كَلَامِ اللَّهِ عَلَى مَعَانٍ؛ فَهُوَ وَقَعَ

تَارَةً بِمَعْنَى (جَبْرِيْلُ)، فَهُوَ يُسَمَّى (رُوحًا)، وَوَقَعَ بِمَعْنَى (النَّفْسِ) الَّتِي هِيَ سِرُّ

الحياة في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ أي يسألونك عن النفس التي هي سرُّ الحياة، ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وهذا يُسمَّى بـ (الوجوه والنظائر):

■ فـ (الوجوه): المعاني المتعددة للكلمة الواحدة.

■ و(النظائر): الآيات الواردة في معنى واحدٍ من تلك المعاني.

فمثلاً: من معاني (الروح): جبريل؛ قال تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨]؛ فهذه الآية وهذه الآية تُسمَّى (نظائر)؛ لأنَّ (الروح) فيهما بمعنى (جبريل).

وكذا ما كان في معناهما.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة البينة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ
مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ (٣) وَمَا نَفَرَكَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة].

﴿مُنْفِكِينَ﴾: زائِلين عما هم عليه تاركين له.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أنَّ المراد بـ (الانفكاك): زوالهم عما هم عليه من

دين وتركهم له.

فمعنى الآية: (لن يكون الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين زائلين عن دينهم تاركين له حتى تأتيهم بينة)؛ فإذا أتتهم البينة حصل انفكاك أولئك عن دينهم وزوالهم عنه.



قال المصنف وفقه الله:

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: مُنْزَهَةٌ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ.

﴿قِيَمَةٌ﴾: مُسْتَقِيمَةٌ.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ الْمَصْنُفُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - أَنَّ مَعْنَى (﴿قِيَمَةٌ﴾: مُسْتَقِيمَةٌ)؛ فَقَوْلُهُ: (﴿فِيهَا

كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ (٢)): أَيُ كُتِبَ مُسْتَقِيمَةٌ، أَيُ مَجْعُولَةٌ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِقَامَةِ.

فَإِذَا قِيلَ: (كِتَابٌ قِيَمٌ): أَيُ مُسْتَقِيمٌ مُوَافِقٌ لِلْحَقِّ.

وَأَمَّا الْجَارِي فِي كَلَامِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ: (كِتَابٌ قِيَمٌ: أَيُ لَهُ قِيَمَةٌ) فَهَذَا

مَعْنَى لَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا؛ فَـ (الْقِيَمُ) عِنْدَ الْعَرَبِ: الْمُسْتَقِيمُ الْمُوَافِقُ لِلْحَقِّ،

لَا ذُو الْقِيَمَةِ الَّذِي لَهُ قِيَمَةٌ رَفَعَتْهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَجْعَلُونَ (الْقِيَمُ) بِمَعْنَى (ذَا

الْقِيَمَةِ).



قال المصنّف وفقه الله:

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: قاصدين بعبادتهم وجهه؛ فالإخلاص هو تصفية القلب من

إرادة غير الله.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - هنا حقيقة (الإخلاص) شرعاً في قوله: (هو تصفية

القلب من إرادة غير الله)؛ فمدار (الإخلاص) على هذا المعنى، وإلى ذلك أشرت

بقولي:

إِخْلَاصَنَا لِلَّهِ صَفِّ الْقَلْبِ مِنْ إِرَادَةِ سِوَاهُ فَاحْذَرْ يَا فَطِنُ

فلا يتحقّق الإخلاص في قلب العبد إلا إذا صَفَّى قلبه من إرادة غير الله.

فالحاجّ - مثلاً - لا يكون مُخْلِصًا لله في حَجِّهِ حَتَّى يُصَفِّي قلبه من إرادة غير

مَرْضَاة الله في حَجِّهِ؛ فهو لا يَحُجُّ للرئاسة، أو للشُّهرة، أو أَنْ يُلقَّبَ بلقب (الحاجّ)،

أو للدُّنيا، أو للسَّفر والسَّيَاحة فقط؛ بل مقصوده في حَجِّهِ: التَّقَرُّبُ إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ

بأداء هذه العِبَادَةِ الَّتِي جَعَلَهَا مِنْ شَعَائِرِ دِينِهِ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿حَنَفَاءٌ﴾: مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ، مَائِلِينَ عَمَّا سِوَاهُ.



قال الشارح وفقه الله:

ما ذكره المصنف في تفسيره قوله: ﴿حَنَفَاءٌ﴾ (يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَنَفَ هُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَمَّا (الْمَيْلُ): فَهُوَ لَا زِمَهُ.

فَالَّذِينَ يُسَمَّى (حَنِيفًا) لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ.

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: (أَحْنَفُ) إِذَا أَقْبَلَتْ إِحْدَى قَدَمَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَإِذَا أَقْبَلَتْ تَدَاخُلًا إِحْدَى الْقَدَمَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى قِيلَ: (رَجُلٌ أَحْنَفُ).

وَلَا يُفَسَّرُ (الْحَنَفُ) بِـ (الْمَيْلِ) ابْتِدَاءً، وَإِنَّمَا هُوَ لَا زِمُهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُقْبِلَ عَلَيْهِ مَيْلًا عَمَّا سِوَاهُ.

فَإِذَا أُقْبِلَ عَلَى اللَّهِ مَالٌ عَمَّا سِوَاهُ، وَإِذَا أُقْبِلَ عَلَى التَّوْحِيدِ مَالٌ عَنِ الشُّرْكِ، وَإِذَا أُقْبِلَ عَلَى السُّنَّةِ مَالٌ عَنِ الْبِدْعَةِ، وَإِذَا أُقْبِلَ عَلَى الْمَعْرُوفِ مَالٌ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِذَا أُقْبِلَ عَنِ الْأَمْرِ مَالٌ عَنِ النَّهْيِ.

فَالْمُفَسَّرُونَ لـ (الْحَنَفِ) لَهُمَ عِبَارَتَانِ:

– إِحْدَاهُمَا: (الْحَنَفُ: الْإِقْبَالُ).

- والأخرى: (الْحَنَفُ: الْمَيْلُ).

والصَّحِيح من العبارتين: الْأُولَى؛ فـ (الْحَنَفُ) هو الإقبال، و(الْمَيْلُ) لَا زِمُّ لَهُ.
والكلمة تُفَسَّرُ في لسان العرب بحقيقة ما وُضِعَتْ لَهُ، لَا بِإِلْزَامِهَا.



قال المصنف وفقه الله:

﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾: دين الكُتُبِ المُستقيمة، وهو الإسلام.

﴿الْبَرِيَّةِ﴾: الخَلِيقَةُ.

﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾: جَنَّاتِ إِقَامَةٍ لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي دين الكُتُبِ القِيَمَةِ (أي المستقيمة) الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ
اللهِ عَلَى رُسُلِ اللهِ، ففي الكلام حَذْفٌ.

وهذا الدِّينُ الَّذِي فِي الكُتُبِ المُستقيمة هو دين الإسلام.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الزلزلة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ١ ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٢ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ٣ ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ٤ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ٥ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ ﴿[الزلزلة].﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ١ ﴿: رُجَّتْ رَجًّا شَدِيدًا.﴾



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (رُجَّتْ رَجًّا شَدِيدًا): الرَّجُّ: التَّحْرِيكُ وَالْهَزُّ.

والزَّلْزَلَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الْأَرْضِ نَوْعَانِ:

- الْأَوَّلُ: زَلْزَلَةٌ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهَا.
- وَالثَّانِي: زَلْزَلَةٌ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا.

فالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: هُوَ كُلُّ زَلْزَلَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

والنوع الثاني: لا يقع إلا مرة واحدة، تقدمةً ليوم القيامة.

فالزلازل التي تكون في الحياة الدنيا لا يجيء شيء منها عامًا؛ بل يقع في جهة دون أخرى.

وأما الزلزلة الكبرى التي تكون يوم القيامة: فتعم الأرض جميعًا.

وجُعِلَت الزلازل التي تكون في الأرض قبل يوم القيامة؛ تنبيهًا على الزلازل الأعظم قبل يوم القيامة بالتذكير والوعظ والإرشاد؛ فأيتها الممسوسون بالزلزلة هنا أو هناك: اعلموا أنكم تقدّمون على زلزلة أعظم هي زلزلة يوم القيامة؛ فينبغي أن تتعظوا وتعتبروا.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿أثْقَالَهَا﴾: ما تَثْقُلُ به مِمَّا فِي بطنها.



قال الشّارح وفقه الله:

ذَكَرَ المَصْنُفُ - وَفَّقَهُ اللهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَثْقَالَهَا﴾: ما تَثْقُلُ بِهِ (أي ما يَكُونُ ثِقَلًا فِيهَا) (مِمَّا فِي بطنها) أي فِي جَوْفِ الأَرْضِ.

وَلَمْ يُفَسِّرْهُ بِقَوْلِهِ: (ما تَثْقُلُ بِهِ مِنَ المَوْتِ)؛ لِأَنَّ ما تَثْقُلُ بِهِ الأَرْضُ لَا يَخْتَصُّ بِالمَوْتِ؛ بَلْ كُلُّ ما فِي الأَرْضِ هُوَ مِمَّا يُعَدُّ مِنْ أَثْقَالَهَا.

فَمِثْلًا: مِمَّا فِي باطنها: الكُنُوزُ عَلَى اِخْتِلَافِ أَنْواعِها؛ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، أَوْ نَفْطٍ، أَوْ غَازٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِاعتبارِ اِخْتِلَافِ الأعْصَارِ والأحوالِ.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾: يُقْبَلُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ وَالْحِسَابِ.

﴿أَشْنَاءًا﴾: أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ.

﴿ذَرَّةٌ﴾: هِيَ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - أَنَّ الذَّرَّةَ هُنَا (هِيَ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ).

فَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: أَي مِثْقَالِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ

يَرَاهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ تِلْكَ النَّمْلَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْ شَرٍّ فَإِنَّهُ يَرَاهُ.

وَلَمْ يُفَسِّرْهُ بِأَنْ يَقُولَ: (الذَّرَّةُ هِيَ الْوَحْدَةُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْمَادَّةُ)؛

فَإِنَّ (الذَّرَّةَ) فِي عُرْفِ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِفِ الدُّنْيَوِيَّةِ هِيَ وَحْدَةٌ لِلْمَادَّةِ؛ فَعِنْدَ

هَؤُلَاءِ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: أَي مِثْقَالَ تِلْكَ الْوَحْدَةِ مِنْ

الْمَادَّةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَإِنَّهُ يَرَاهُ.

وَالصَّحِيحُ: تَفْسِيرُ (الذَّرَّةِ) بِقَوْلِنَا: (النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ)؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ،

وَ(الذَّرَّةُ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ، وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ (الذَّرَّةَ) بِمَعْنَى الْوَحْدَةِ

الدَّقِيقَةِ الْمُكُونَةِ لِلْمَادَّةِ، وَإِنَّمَا هَذَا اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ.

ومن قواعد تفسير القرآن - خاصّة - والخطاب الشرعي - عامّة - : أنّه لا يُفسّر بالمصطلح الحادث؛ لأنّ كلام الشرع أعلى وأعظم وأسبق من هذه الاصطلاحات الحادثة.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ كَوْنًا ۖ﴾ [الأنعام: ٧٦]: لا يصحّ أن نقول: (الكوكب هو جسمٌ فلكيٌّ معتمٌ غيرٌ مُضيءٍ)؛ لأنّ هذا اصطلاحٌ حادثٌ.

ومن الخطأ الواقع كثيراً: تفسير خطاب الشرع - ولا سيّما القرآن - بالمصطلحات الحادثة؛ فإنّ القرآن عربيٌّ، ولا يُفسّر إلّا بما تعرفه العرب في لسانها.

وما تعرفه العرب في لسانها هو أعظم ممّا يدّعيه المتأخرون في معارفهم.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق] معناه في كلام العرب: لتَرْكَبَنَّ مُتَحَوِّلِينَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَنُقَلَّلُونَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ فَمِنْ حَالِ الصَّحَّةِ إِلَى حَالِ الْمَرَضِ، وَمِنْ حَالِ الْقُوَّةِ إِلَى حَالِ الضَّعْفِ، وَمِنْ حَالِ الْقُدْرَةِ إِلَى حَالِ الْعَجْزِ، وَمِنْ حَالِ السُّرُورِ إِلَى حَالِ الْحُزْنِ. وكذا مُقَابِلُهَا؛ فَمِنْ حَالِ الْحُزْنِ إِلَى السُّرُورِ، وَمِنْ الضَّعْفِ إِلَى الْقُوَّةِ، وَمِنْ الْمَرَضِ إِلَى الصَّحَّةِ، وَمِنْ الْعَجْزِ إِلَى الْقُدْرَةِ.

وأما المتأخرون: فيزعم زاعمهم أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[الانشقاق]: اختلاط طبقات الجوِّ، وأنّ الجوّ واقعٌ على طبقاتٍ مختلفةٍ؛ فإذا

خَرَجَ مِنْ طَبَقَةٍ جَوِّيَّةٍ انْتَقَلَ إِلَى أُخْرَى، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ طَبَقَةٍ جَوِّيَّةٍ خَرَجَ إِلَى مَا بَعْدَهَا؛ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ أَعْظَمَ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ بِمَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَامَّةً وَبِالْقُرْآنِ خَاصَّةً مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا.

فَالْمَعْنَى الَّتِي يَذْكُرُونَهُ هُوَ بَعْضُ ذَلِكَ الْمَعْنَى.

وَالْمَعْنَى الَّتِي نَجِدُهُ فِيهَا ذِكْرَتَهُ الْعَرَبُ أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي النُّفُوسِ؛ فَأَنْتَ الْآنَ فِي حَالِ فَرَحٍ وَكُنْتَ قَبْلَ مُدَّةٍ فِي حَالِ حُزْنٍ وَتَخَوُّفٍ أَنْ يَفُوتَكَ الْحَجُّ، فَنَقَلَكَ اللَّهُ مِنْ حَالِ الْحُزْنِ إِلَى حَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَكُنْتَ يَوْمًا مَا تَشْكُو مِنْ عِلَّةٍ وَمَرَضٍ، فَأَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنْ بَدَنِكَ وَسَلَّهَا مِنْكَ كَأَنْ لَمْ يَمَسَّكَ شَيْءٌ، وَكُنْتَ قَبْلُ عَاجِزًا عَنْ أَكْلِ الطَّعَامِ لَا تَسْتَطِيعُ إِلَّا شُرْبَ الْحَلِيبِ، فَنَقَلَكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَيَّأَ لَكَ مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ فِي بَدَنِكَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا مَا يُيسِّرُ لَكَ أَكْلَ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ فَهَذَا أَشَدُّ عَجَبًا، وَأَعْظَمُ تَأْثِيرًا، وَأَصْدَقُ خَبْرًا، وَأَكْمَلُ يَقِينًا، مِمَّا يَذْكُرُهُ هَؤُلَاءِ مَشْدُوهِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَارِفِ الْمَتَأَخَّرَةِ.

لَكِنَّ الشَّأْنَ: فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْإِنْتِفَاعِ بِذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ، وَشُهُودِهِ بِالْقُلُوبِ.

فَلَمَّا صَارَ هَؤُلَاءِ آخِذِينَ بِالْعُلُومِ الظَّاهِرَةِ اغْتَرُّوا بِهَا، وَظَنُّوا أَنَّ فِيهَا مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ مَا لَيْسَ فِي الْمَعَارِفِ الْمَوْجُودَةِ فِي كَلَامِ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي لِسَانِهَا.

قال المصنّف وفقاسه:

معاني سورة العاديات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا﴾ ٤
 فَوْسَطْنَهُ جَمْعًا ٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ
 لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠﴾
 إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١ ﴿[العاديات].

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١: أي العاديات عدواً بليغاً قوياً يصدر عنه الضبح، وهو صوتُ نفسِها في جوفِها عند اشتداد عدوها.

﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ ٢: الموقدات بحوافرهنَّ ما يطأَنَّ عليه من الأحجار؛ فتقدح النارُ ويتوقد شررُها من ضرب حوافرهنَّ إذا عدونَ، والمراد بها: الخيل.



قال الشارح وفقاسه:

هذا الذي ذكره المصنّف في الآية المتقدّمة: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ (فيه أنَّ الضَّبح: اسمٌ لما يتردّد في جوف الخيل من النفس؛ فبنو آدم يُسمّى في حقّهم (شهيقاً) و(زفيراً)، وفي الخيل يُقال: (ضبح)).

قال المصنف وفقه الله:

﴿فَالْمَغِيرَتِ﴾: المَبَاغِتَاتُ الأَعْدَاءَ بما يُكْرَهُ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (﴿فَالْمَغِيرَتِ صُبْحًا﴾^(١)): المَبَاغِتَاتُ الأَعْدَاءَ بما يُكْرَهُ؛ أي في الصُّبَاح؛ وَقَيْدُ المَبَاغِتَةِ بـ (الصُّبْح) لَأَنَّهُ الأَغْلَبُ؛ فالأغلب: شَنْ الغارة في الصُّبَاح؛ وكانت هذه حُرُوب الأوائِل.

أَمَّا المُتَأَخِّرُونَ: فالأصل في حروبهم: شَنْ الغارة في اللَّيْلِ^(٢)؛ لَأَنَّ آلةَ الحَرْبِ عند العرب وغيرهم - من الرُّوم والفرس - كانت: الخيل والرَّاجِلَة؛ فكانت حربًا بَرِّيَّةً أَرْضِيَّةً، وهذه أنفع ما تكونُ في الصُّبْح.

وَأَمَّا المُتَأَخِّرُونَ: فعامةُ أسلحتهم: أَسْلِحَةٌ جَوِّيَّةٌ؛ وهذه أنفعُ ما تكونُ إذا كانت لَيْلًا.

فلَمَّا اختلفت عُدَّةُ الحَرْبِ اختلفَ وَقْتُهَا.

(١) سأل الشيخُ الطَّلَبَة عن علَّة هذا، فذكر أحدهم أنَّ حروب الأوائِل كانت في الصُّبَاح لأنَّهم لا يغدرون. فقال الشيخ:

هذا كلام غير طَيِّب؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّتَ قومًا؛ يعني أخذهم في اللَّيْلِ.

قال المصنّف وفقه الله:

﴿فَأَثَرُنَا بِهِ﴾: فَهَيَّجْنَا وَأَصْعَدْنَا بَعْدَ وَهْنٍ وَغَارَتِهِنَّ.

﴿نَقَعًا﴾: غُبَارًا.

﴿فَوَسَّطَنَا بِهِ﴾: أَي تَوَسَّطْنَا بِرَاكِبِهِنَّ.

﴿لَكُنُودٌ﴾: لِكُفُورٍ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ.

﴿الْخَيْرِ﴾: هُوَ الْمَالُ.



قال الشّارح وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - أَنَّ (الخير) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

لَشَدِيدٌ﴾ (٨) هو (المال)؛ فالعبد يُحِبُّ الْمَالَ حُبًّا شَدِيدًا، كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَجْرِ.

و(المال) يُسَمَّى (خيرًا)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ يَعْنِي مَالًا.

و(الخير): اسْمٌ لِمَا يُرْغَبُ فِيهِ شَرْعًا وَعُرْفًا.

وهو نوعان:

• أحدهما: الْخَيْرُ الْمُطْلَقُ؛ وَمَحَلُّهُ: الْأُمُورُ الدِّينِيَّةُ؛ كَالصَّلَاةِ، وَبِرِّ

الوالدين، والإحسان إلى الجار.

- والآخر: الخير المُقَيَّد؛ ومَحَلُّه: الأمور الدُّنْيَوِيَّة؛ كالزَّوْجَةِ، والأولاد،
والمال.

فإنَّها تكون تارةً خيراً، وتكون تارةً شَرًّا؛ فإذا كانت مُعِينَةً على طاعة الله فهي
خيرٌ، وإذا كانت مُعِينَةً على معصيته فهي شرٌّ؛ فتُعَدُّ خيراً مُقَيَّدًا لا مُطْلَقًا.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة القارعة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴿ فَأَمَّا مَنْ
ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾
فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴿ [القارعة].

قوله: ﴿الْقَارِعَةُ﴾: من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تَقْرَعُ قلوبَ الناس وتزعجهم
بأهوالها.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (من أسماء يوم القيامة): (من) للتبعية؛ فأسماءُ يوم القيامة كثيرة،
ومن جملتها: القارعة.
وكثرت أسماء يوم القيامة؛ تعظيماً له؛ فإنَّ العربَ إذا عَظَّمَت شيئاً كَثُرَت
أسماءه.

ولَمَّا كَانَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَعْظَمَ مُعْظَمٍ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا يُعْلَمُ؛ فَمِنْ
أَسْمَائِهِ: مَا أَخْبَرْنَا بِهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ: مَا اسْتَأْثَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ،
وَمِنْهَا: مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾: الفراش: فرخ الجراد حين يخرج من بيضه، يركب بعضه بعضاً. والمبثوث: المنتشر.

﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾: كالصوف المتمزق الذي فرقت بعض أجزائه عن بعض.

﴿فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةً﴾ (١): مأواه ومسكنه النار، تكون له بمنزلة الأم التي يأوي إليها ويلزمها.

﴿حَامِيَةً﴾: شديدة الحرارة من الوقود عليها.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (من الوقود) هو بضم الواو، والمراد به: الإيقاد.

وأما (الوقود) بفتح الواو فالمراد به: ما تسعر به النار، أي توقد به، ومنه قوله

تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ أي تسعر وتُشعل بالناس والحجارة.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة التكاثر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر].

﴿الْهَنَكُمُ﴾: شَغَلَكُمْ عَمَّا خُلِقْتُمْ لَهُ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ.

﴿التَّكَاثُرُ﴾: التَّفَاخُرُ بِالكَثْرَةِ فِيمَا يُرْغَبُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا؛ كَالنِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ،

وَالْأَمْوَالِ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (فِيمَا يُرْغَبُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا؛ كَالنِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ): هَذِهِ أَصُولُ

الْأَعْيَانِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا مِنَ الدُّنْيَا.

وَقَدْ جُمِعَتْ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ﴿١٤﴾ [آل عمران: ١٤]، فهذه سِتَّةُ أَعْيَانٍ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، جَعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَحَبَّتَهَا فِطْرَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ؛ فَالنَّاسُ مَفْطُورُونَ عَلَى حُبِّ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ.

[الشيخ:] هل يُلَامُونَ عَلَى هَذَا أَمْ لَا يُلَامُونَ؟

[طالب:] لا يُلَامُونَ.

[الشيخ:] ما تقول في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ

وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]؟

[الجواب:] أَنَّ الَّذِي أَذِنَ اللَّهُ فِيهِ: حُبُّ الشَّهَوَاتِ، وَالَّذِي حَرَّمَهُ: اتِّبَاعُ

الشَّهَوَاتِ؛ بَأَنَّ تَكُونَ حَاكِمَةً عَلَى الْعَبْدِ قَائِدَةً لَهُ، مُؤْتَمِرًا بِأَمْرِهَا؛ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَيُحَذَّرُ مِنْهُ.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: الْعِلْمُ الثَّابِتُ فِي الْقَلْبِ.

﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: عَيْنًا بِأَبْصَارِكُمْ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - في هذه الجملة معنى مَرْتَبَتَيْنِ تتعلّقان بـ (اليقين):

- إحداهما: عِلْمُ اليقين.

- والأخرى: عين اليقين.

والَّذِي دَلَّ عليه القرآن: هو أَنَّ اليقينَ له ثلاثُ مراتبٍ:

- المرتبة الأولى: عِلْمُ اليقين؛ وهو الْعِلْمُ الثَّابِتُ فِي الْقَلْبِ.
- والمرتبة الثانية: عين اليقين؛ وهو مُعَايَنَةُ ذَلِكَ بِالْبَصَرِ.
- والمرتبة الثالثة: حَقُّ اليقين؛ وهو مُلَابَسَةُ الْمَذْكُورِ فِيهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

فمثلاً: (الجنة والنار) تتعلّق بهما هذه المراتب الثلاث:

- فعِلْمُنَا بهما الآن يُسَمَّى (عِلْمَ اليقين).
- ثُمَّ إِذَا أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا ورَأَوْهُمَا سُمِّيَ هذا (عينَ اليقين).
- فإذا انتهى أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وصاروا فيها سُمِّيَ هذا (حَقَّ اليقين).

وقد أشرتُ إلى هذه المراتب الثلاث بقولي:

يَقِينُنَا عِلْمٌ، وَعَيْنٌ شُهْرًا	وَحَقُّهُ مِنْ بَعْدِ دَيْنِ دُكْرًا
فَعِلْمُهُ مُبَاشِرُ الْفُؤَادِ	مُوثِقًا وَمُحْكَمَ الْإِيرَادِ
وَعَيْنُهُ: الْإِدْرَاكُ بِالْأَبْصَارِ	وَحَقُّهُ: الْمَصِيرُ لِلْقَرَارِ



قال المصنّف وفقه الله:

معاني سورة العصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر].

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾: الوقت المعروف آخر النهار قبل غروب الشمس.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

ذَكَرَ المصنّف - وفقه الله - أَنَّ العَصْرَ هو (الوقت المعروف آخر النهار قبل

غروب الشمس).

وتفسيره به لأنَّ اسمَ (العصر) إذا أُطْلِقَ في خطاب الشرع فالمراد به هذا.

وهذا الإطلاق يُسمَّى (لغة القرآن والسُّنة)؛ فـ (لغة القرآن والسُّنة) لغةٌ أخصُّ

مِنَ (لغة العرب).

فمثلاً: (النَّفِير) في كلام العرب: الانبعاث والانطلاق. وأمَّا في لغة الكتاب

والسُّنة: فالمراد به: الجهاد.

و(العصر) مثلاً: يقع في كلام العرب على معنى واسع وهو (الدهر). وأمّا في لغة الكتاب والسنة: فيقع على معنى أخصّ؛ وهو الوقت الكائن آخر النهار. وما عُرِفَ أنّه لغة الكتاب والسنة، فُسِّرَ القرآنُ والسنة به.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية، اختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية على قولين:

- أحدهما: أنّ النّافرة هي المُجاهدة، والقاعدة هي الطّالبة للعلم.
 - والآخر: أنّ النّافرة هي الطّالبة للعلم، والقاعدة هي المُجاهدة.
- والصّحيح منهما: أنّ النّافرة هي المُجاهدة، والقاعدة هي الطّالبة للعلم؛ لأنّ اسم (النّفير) في الكتاب والسنة يُراد به: الجهاد؛ فالنّافرون هم الخارجون للجهاد. وهذه قاعدة نافعة في فهم القرآن والسنة.

وأقسم الله بـ (العصر) دون غيره لأنّ مُنتهى عمَلِ هذه الأمة بين الأمم إليه؛ ففي «الصّحيحين» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ...» الحديث.

فهذه الأمة في الوقت باعتبار ما سَبَقَها من الأمم هي الكائنة في العصر، كما أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَها كائنٌ فيما سَلَفَ من النَّهار.

والأُمم عددها سبعون؛ ثَبَتَ هذا في حديث معاوية بن حَيْدَةَ عند التِّرْمِذِيِّ وغيره في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ».



قال المصنّف وفقه الله:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أَمَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنّف في التّواصي بالحقّ (أنّه أَمَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ): فيه إعلَامٌ بَعْظَمَةُ المأمور به؛ لأنّ الوصيّة: اسمٌ موضوعٌ شرعاً وعُرْفاً لِمَا عَظُمَ وَشَرُفَ. فمثلاً: أَنْتَ تقول: (إذا خرجتَ إلى الحجّ يا ابني فلان فأوصيك بالصّلاة، وبأُمّك وبأخواتك)، لكن يُسْتَقْبَحُ أَنْ تقول: (أوصيك بهذه النّبتة ألاّ ينقطع عنها الماء!) وتترك الوصيّة بما هو أعظم من صلاةٍ وأهلٍ.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الهمزة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،

۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦﴾ الَّتِي

تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ۝٩﴾ [الهمزة].

﴿وَيْلٌ﴾: كلمة وعيد وتهديد، تتضمّن الدعاء عليه بسوء الحال.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنف في تفسير (﴿وَيْلٌ﴾) هو المعروف في كلام العرب:

أنّهم يريدون بها التهديد والوعيد.

أمّا المرويُّ أنّ (ويلًا: وادٍ في جهنّم) فلا يصحُّ فيه حديث.

والعرب لها خمس كلمات اتّفقت وزناً ومعنى تريد بها التهديد والوعيد؛

وهي:

- وَيْلٌ.

- وَيُح.

- وَيُك.

- وَيُب.

- وَيُس.

ولا سادس لها؛ ذكره ابن خالويه في كتاب «ليس».

وأشرت إليه بقولي:

وَيْلٌ، وَوَيْحٌ، ثُمَّ وَيُكُّ، وَيُسُّ وَيُبُّ: لِتَهْدِيدِ تَقَالُ الْخَمْسُ



قال المصنف وفقه الله:

﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾: هو الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِفِعْلِهِ، وَيَلْمِزُهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فَالْهَمَّازُ: مَنْ يُعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ. وَاللَّمَّازُ: مَنْ يَعْيبُهُمْ بِقَوْلِهِ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ بِالْعِبَارَةِ.

وَالْهُمَزَةُ وَاللُّمَزَةُ، وَالْهَمَّازُ وَاللَّمَّازُ: لِلْمُبَالَغَةِ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (ويطعن عليهم بالإشارة) أي بحركة؛ بيده، أو بعينه، أو بلسانه؛ فهذا يُسَمَّى (هَمْزًا). وَأَمَّا (الَلَمَزُ): فَإِنَّهُ يَكُونُ بِآلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ اللُّسَانُ.

وقوله: (وَالْهُمَزَةُ وَاللُّمَزَةُ، وَالْهَمَّازُ وَاللَّمَّازُ: لِلْمُبَالَغَةِ) أي لتعظيم الفعل؛ فَإِنَّ مِنْ طَرَائِقِ الْعَرَبِ فِي التَّعْظِيمِ فِي كَلَامِهِمْ: مَجِيءُ الْكَلِمَةِ عَلَى صِيغٍ مُعَيَّنَةٍ، تُعْرَفُ عَنْدهُمْ بِـ (صِيغِ الْمُبَالَغَةِ)، مِثْلُ: (فُعَلَّةٌ، وَفَعَّالٌ)، كـ (هُمَزَةٌ وَلُمَزَةٌ، وَهَمَّازٌ وَلَمَّازٌ).



قال المصنّف وفقه الله:

﴿لِيُبْذَنَ﴾: لِيُطْرَحَنَّ.

﴿الْحُطْمَةِ﴾: كثرة الحطْمِ والهشمِ لما يُلقى فيها.

﴿الْمُوقَدَةُ﴾: المُسَعَّرَةُ المُشَعَّلَةُ بالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ.

﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ﴾: تَنْفُذُ مِنَ الْأَجْسَادِ إِلَى الْقُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا. وَأَلَمْ حَرَقَ

القلوب أشدَّ مِنْ أَلَمِ غَيْرِهَا؛ لِلطُّفْهِهَا.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

قوله: (تَنْفُذُ مِنَ الْأَجْسَادِ) أي تخترق الأجسادَ.

فالنُّفُوذُ: الْمُضِيُّ فِي الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: (نَفَذَ فِيهِ السَّهْمَ) إِذَا مَضَى فِيهِ وَدَخَلَ بَدَنَهُ

أَوْ خَرَقَهُ وَخَرَجَ مِنْهُ.

وَلَا يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَى انْقِضَاءِ الشَّيْءِ؛ فَلَا يُقَالُ: (نَفَذْتَ الْكِتَابَ، أَوْ نَفَذَ الْمَالُ:

يَعْنِي انْقَضَى)؛ فَإِنَّهُ بِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ بـ (الدَّال).

فَيُقَالُ:

■ (نَفَذَ فِي الشَّيْءِ) إِذَا مَضَى.

■ وَ(نَفَذَ الشَّيْءُ) إِذَا انْقَضَى.

وذكر وصول عذاب النار إلى القلوب في قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (لأمرين:

* أحدهما: أَنَّ القلوبَ لطيفةٌ؛ فأشدُّ الألم يكون بحرقِها. ومن قواعد

العذاب: أَنَّ ما لَطُفَ رِقَّةً، اشتدَّ عذاباً؛ كالَّذي ذَكَرَهُ اللهُ عَنِ الْجِلْدِ، وَعَنِ الْقَلْبِ؛ فَإِنَّهُمَا لَمَّا لَطُفَا اشْتَدَّ عَذَابُهُمَا.

* والآخر: أَنَّ القلبَ هو مَحَلُّ الإرادة والفكر؛ فمُبْتَدَأُ وَقْعِ الشَّرِّ - من كُفْرٍ

وبدعةٍ وفُسوقٍ - يكون مِنَ القلبِ؛ فهو المُسْتَحِقُّ للعذابِ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾: مُغْلَقَةٌ عَلَيْهِمْ.

﴿فِي عَمِدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ ٩: فِي أَعْمَدَةٍ طَوِيلَةٍ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (مُغْلَقَةٌ عَلَيْهِمْ): هذا الإغلاق أَشَدُّ مَا يَكُونُ؛ لِأَنَّ الإِصَادَ هُوَ الإِغْلَاقُ

الْمُحْكَمُ.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الفيل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل].

﴿تَضْلِيلٍ﴾: تضييع.

﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعاتٍ مُتتَابِعَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ.

﴿سِجِّيلٍ﴾: طينٍ مُتَحَجَّرٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿٥﴾: مُحَطَّمِينَ؛ كبقايا الزرع الذي دخلته البهائم فأكلته، ودأسته بأرجلها، وطرحته على الأرض، بعد أن كان أخضر يانعا.



قال الشارح وفقه الله:

هذه السورة تدلُّ على مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلَازُمِ؛ فَإِنَّهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا حَادِثَةُ الْفِيلِ، كَانَ مَوْلَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَجُعِلَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ الْعَظِيمَةُ تَوْطِئَةً لِمَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَحْفَظُ سِنِينَهَا بِالْوَقَائِعِ؛ فَأُرِيدَ حِفْظُ السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهَا هَذِهِ الْوَاقِعَةَ الَّتِي لَا تُنْسَى.

فَإِذَا قِيلَ: مَتَى وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ فِي (عَامِ حَادِثَةِ الْفِيلِ).
وَلِهَذَا؛ إِذَا سُئِلَتْ: أَيْنَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَالْجَوَابُ:
فِي سُورَةِ الْفِيلِ.

كَمَا أَنَّ مَوْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فِي سُورَةِ النَّصْرِ - كَمَا سَيَأْتِي.

وَإِلَى ذَلِكَ أَشَرْتُ بِقَوْلِي:

مَوْلِدُهُ فِي سُورَةِ الْفِيلِ — وَمَوْتُهُ فِي النَّصْرِ (فِي التَّنْزِيلِ)



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة قريش

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَيْلَفٍ قُرَيْشٍ ١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

الْبَيْتِ ٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤﴾ [قريش].

﴿لَيْلَفٍ قُرَيْشٍ ١﴾: ما لَزِمُوهُ واعتادوه مع الأنس به.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أَنَّ معنى قوله: ﴿لَيْلَفٍ قُرَيْشٍ ١﴾ أي (ما

لَزِمُوهُ) وكانوا مُلَازِمِينَ له، (واعتادوه) أي جَرَت عَادَتُهُمْ به، (مع الأنس به)؛

فكانوا يفرحون بذلك الإلف الذي كانوا عليه.

فاسم (الإلف) فيه المَحَبَّةُ والرِّضَا.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾: لُزُومُهُمْ وَعَتِيَادُهُمْ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ إِلَى

الْيَمَنِ، وَالصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ الْمَصْنُفُ - وَفَقَهُ اللَّهُ - أَنَّ قَرِيشًا لَزِمَتْ وَعَاتَدَتْ رَحْلَتَيْنِ:

- إِحْدَاهُمَا: الرَّحْلَةُ فِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ بَارِدَةً.

- وَالْأُخْرَى: الرَّحْلَةُ فِي الشَّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ دَافِئَةً فِي الشَّتَاءِ.

وَالْمُرَادُ بـ (الْيَمَنِ) هُنَا: الْيَمَنُ الْأَسْفَلُ؛ وَهِيَ تِهَامَةُ، لَا الْيَمَنُ الْأَعْلَى الَّتِي هِيَ

الْجِبَالُ.

و(تِهَامَةُ) مَنْطَقَةٌ وَاسِعَةٌ، مَقْسُومَةٌ الْيَوْمَ بَيْنَ دَوْلَتَيْنِ؛ هُمَا الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ

السُّعُودِيَّةُ، وَالْجُمْهُورِيَّةُ الْيَمَنِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ.

[مَسْأَلَةٌ]: قَرِيشٌ تَرَحَّلُ فِي الشَّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ. وَالنَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً مَعَ عَمِّهِ، وَالْأُخْرَى: فِي تِجَارَةِ

خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ مَيْسِرَةَ.

لِمَاذَا رَحَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الشَّامِ، وَلَمْ يَرَحُلْ إِلَى الْيَمَنِ؟

[الجواب]: اتَّفقت رِحلته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشَّام دون اليمن لأُمورٍ؛ منها

ثلاثة:

* أولها: لأنَّها مَدَفَن أبيه إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والرَّجُلُ إلى دارِ أبيه أَحَنُّ.

* وثانيها: أَنَّ الشَّامَ أَرْضُ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَهِيَ أَوْلَى مِنَ الْيَمَنِ.

* وثالثها: أَنَّ الشَّامَ كَانَتْ قِبْلَةً مَنْ يُصَلِّي لَهِ وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَأَمَّا الْيَمَنُ

فَكَانَتْ قِبْلَةً مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَهُوَ أَبْرَهَةٌ، لَمَّا بَنَى كَعْبَةً فِي الْيَمَنِ يُقَالُ لَهَا (الْقُلَيْسُ)

وَأَرَادَ حَمَلَ النَّاسِ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا.

فلهذه الأمور اختار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّفَرَ إلى الشَّامِ، وَلَمْ يُسَافِرْ قَطُّ إِلَى

اليمن؛ لَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ.



قال المصنّف وفقه الله:

معاني سورة الماعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُخْضِ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

﴿بِالْإِيمَانِ﴾: بالحساب والجزاء على الأعمال.

﴿يَدْعُ﴾: يدفع بعنفٍ وشدةٍ.

﴿يُخْضُ﴾: يحثُّ.

﴿سَاهُونَ﴾: لاهون؛ فلا يُؤدُّونها في وقتها، ولا يُقيمونها على وجهها.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنّف - وفقه الله - تفسير قوله تعالى: ﴿سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] بأنهم

(لاهون)؛ أي مشغولون عن الصلاة.

ثم فسّر لاهوهم عنها بقوله: (لا يؤدُّونها في وقتها، ولا يُقيمونها على وجهها).

فالسَّهْوُ عن الصَّلَاةِ له صورتان:

- الأولى: عَدَمُ أداء الصَّلَاةِ في وقتها.
- والأخرى: عَدَمُ إقامتها على وجهها الَّذي أَمَرَتْ به الشَّريعة.

فهذان الأمران يُسمَّيان (سَهْوًا عن الصَّلَاةِ).

وأَمَّا السَّهْوُ في الصَّلَاةِ: فهو الذُّهولُ عن شيءٍ منها.

والفرق بينهما:

- أَنَّ (السَّهْوَ عن الصَّلَاةِ) مذمومٌ مُعاقَبٌ عليه.
- وَأَمَّا (السَّهْوُ في الصَّلَاةِ): فهو مَعْفُوٌّ عنه لا عقابَ عليه؛ لَأَنَّهُ حالٌ تغلبَ العَبْدَ.



قال المصنّف وفقه الله:

﴿يُرَاءُونَ﴾: يُظهِرُونَ أَعْمَالَهُم الصَّالِحَةَ لِيَرَاهَا النَّاسُ فَيَحْمَدُوهُمْ عَلَيْهَا.
 ﴿الْمَاعُونَ﴾: الْمَعُونَةُ بِمَا يَنْفَعُ وَلَا يُمْنَعُ عَادَةً؛ كَالزَّكَاةِ، وَمَا لَا تَضُرُّ إِعَارَتُهُ
 مِمَّا يُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى عَمَلِ الْبَيْتِ مِنْ آنِيَةٍ وَآلَةٍ، وَمِنْهَا: الْقِدْرُ، وَالِدَّلْوُ، وَمَا جَرَتْ
 الْعَادَةُ بِذَلِّهِ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله:

هذا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرَاءُونَ﴾ (﴿يُرَاءُونَ﴾) فِيهِ بَيَانٌ مَعْنَى
 حَقِيقَةِ الرِّيَاءِ؛ فـ (الرِّيَاءُ): إِظْهَارُ الْعَبْدِ عَمَلِهِ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيَحْمَدُوهُ عَلَيْهِ.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الكوثر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

﴿٣﴾ [الكوثر].

﴿الْكَوْثَرَ﴾: هو نَهْرٌ في الْجَنَّةِ.

﴿شَانِئَكَ﴾: مُبْغَضُكَ.

﴿الْأَبْتَرُ﴾: المَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - : أَنَّ (﴿الْكَوْثَرَ﴾: هو نَهْرٌ في الْجَنَّةِ)، عُدُولًا عَنْ

تفسير جماعةٍ بأنه (الخير الكثير)؛ لِأَنَّ تَفْسِيرَهُ بِـ (النَّهْرِ) أَعْظَمُ فِي بَيَانِ امْتِنَانِ اللَّهِ

عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّ نَهْرَ الْكَوْثَرِ لَهُ وَحْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الْخَيْرُ

الْكَثِيرُ فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَهَا.

قال المصنف وفقاسه:

معاني سورة الكافرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾

﴿٢ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

[الكافرون] ^(١).

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْآلِهَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا

أَنِّي لَا أَعْبُدُهَا الْآنَ.

(١) أثناء الدرس كانت تصدر أصوات الأشغال داخل الحرم بقوة، فقال الشيخ للطلبة:

هذه الأصوات لا ينبغي أن تُشني طالب العلم عن الحرص على العلم.

أبو الوليد الباجي ناظر ابن حزم، فقال له ابن حزم بعد المناظرة مُعْتَذِرًا: (اعذر في العلم من طلبه على مشاعل الذهب)؛ يعني كان يُوقد له مشاعل من ذهب؛ لأنه كان ابن وزير، والدنيا تُشغل عن العلم. فقال أبو الوليد: (اعذر من كان يطلب العلم في الليل ولا مشعل له)؛ يعني ليس عنده حتى النور الذي يرى به.

فهذه العوارض لا تجعلها قاطعة لك عن طلب العلم؛ بل تحمل الإنسان على أن يجتهد.

بعض الإخوان يقول: (نريد جواً مريحاً للعلم)؛ الجوّ هو هذا الذي في قلبك، وليس الذي في الوجود؛ هذه (الدنيا طُبعت على كدرٍ** وأنت تريدُها صَفْوَاً من الأقدار والأكدار)؛ فالدنيا مطبوعة على كدرٍ، أهم شيء أن يكون جَوْكُ القلبِي صافياً.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣): قَالَه للدلالة على الثبات في براءته من

آلهتهم، وتأيسهم من عبادته إيّاها.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الَّذِي رَضِيتُمُوهُ، وَهُوَ الشِّرْكَ.

﴿وَلِي دِينِ﴾: الَّذِي رَضِيَهُ لِي رَبِّي فَرَضِيْتُ بِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَام.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّاهُ:

ذَكَرَ الْمَصْنُفُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ

الْإِضَافَتَيْنِ:

○ فَقَوْلُهُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ (أُضِيفَ فِيهِ (الدِّينُ) إِلَى الْمَشْرِكِينَ.

○ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِي دِينِ﴾ (أُضِيفَ فِيهِ (الدِّينُ) إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

فَفِي قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ، مِنْ يَاءَاتِ الْإِضَافَةِ عِنْدَهُ هُنَا: ﴿وَلِي دِينِي﴾، بِالتَّصْرِيحِ

بِ (يَاءِ الْإِضَافَةِ).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِضَافَتَيْنِ:

■ أَنَّ (دِينَ الْمَشْرِكِينَ) أُضِيفَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ اخْتَرَعُوهُ.

■ وَأَمَّا (دِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأُضِيفَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي

أَمَرَهُ بِهِ.

قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة النصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر].

﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكة.

﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ تَلُو جماعاتٍ.

﴿تَوَّابًا﴾: يُوفِّقُ الخلقَ للتَّوبَةِ ويقبلُها منهم.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ المصنِّف - وَفَّقَهُ اللهُ - فِي تَفْسِيرِ (التَّوَّابِ): أَنَّهُ (يُوفِّقُ الخَلْقَ لِلتَّوْبَةِ

وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ).

فَ (تَوْبَةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ) تَجْمَعُ أَمْرَيْنِ:

✓ أَحَدُهُمَا: تَوْفِيقُهُمْ إِلَيْهَا؛ فَيَحْمِلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى طَلَبِ التَّوْبَةِ مِنْهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

✓ والآخر: قبولها منهم إذا هم تابوا.

فالله عزَّ وجلَّ مُتَفَضِّلٌ بها ابتداءً، وانتهاءً.

فهو يَتَفَضَّلُ بها ابتداءً بتوفيقهم إليها، وانتهاءً بقبولها منهم؛ ذكره ابن تيمية

الحفيد، وصاحبه أبو عبد الله ابن القيم في «مدارج السالكين».



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة المسد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾
[المسد].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: خَسِرَتْ يده، وهو من أعمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال الشارح وفقه الله:

ذكر المصنف - وفقه الله - أَنَّ معنى قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي
(خَسِرَتْ يده)؛ فهو إعلَامٌ عن خسارته.

وأبو لهب هذا من أعمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو أبو لهب بن عبد المطلب
ابن هاشم.

وقيل: اسمه (عبد العزى).

والمعروف: أَنَّ اسمَه كُنْيَتُهُ؛ وهي (أبو لهب).

والكنية عند العرب يُرادُ بها التعظيم؛ ولذلك إذا خاطبتَ مُعظَّمًا لم يكن لائقًا أن تُبادِرَه بِاسْمِه، وإنَّما بِكُنْيَتِه.

وإذا أخبرتَ عن نفسك: فاللائق بك أن تُخبرَ بِاسْمِكَ لا بِكُنْيَتِكَ؛ لأنَّ خَبَرَكَ بالكنية تعظيمٌ لها، وهو مكروهٌ.

[مسألة]: إذا كانت الكنية للتعظيم، فلماذا ذكره الله بالكنية في قوله: ﴿تَبَّتْ

يَدَايِي لِهَبٍ﴾؟ ولم يقل: (تَبَّتْ يَدَا عَمِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

[الجواب]: الجواب عن ذلك من ثلاثة وجوه:

* أولها: أنه لم يكن يُعرف بِاسْمٍ، وإنَّما يُعرف بِهذه الكنية، فذكرَ بِها.

* وثانيها: أنه أبلغُ في الإهانة والإذلال؛ بأن يُذكرَ بما يُعظَّمُ في حالِ عذابٍ؛

كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ [الدُّخَان] على وَجْهِ الإهانة والإذلال والتوبيخ له.

* وثالثها: لِمَا في كُنْيَتِه من الإشارة إلى عذابه؛ فَالْهَبُ يَدُلُّ على النَّارِ.



قال المصنف وفقه الله:

﴿وَتَبَّ﴾: لم يربح.

﴿وَمَا كَسَبَ﴾: كسبه: ولده.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(١): هي أم جميل التي كانت تحمل أغصان

الشجر الكبيرة ذات الشوك؛ فتلقاها في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أذية له.



قال الشارح وفقه الله:

[مسألة]: هنا قال الله عز وجل: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾، فلم يذكرها باسم ولا كنية،

وأما زوجها فذكره بالكنية؛ لأنه أضيفت إليه فتعرف به، لكن تعرف بالاسم أكثر،

لأنها لو مات زوجها عنها ذهب اسمه، أو كانت قبل أن تتزوج لا تُضاف إليه،

فلماذا لم يُصرَّح باسمها ولا كنيته؟^(١)

[الجواب]: لأنها كانت تُعرف بـ (أم جميل)، ولا اسم لها؛ ففي اسمها من

(١) لما سأل الشيخ الطلبة عن علة هذا، ذكر أحدهم أن ذلك وقع إهانة لها. فقال الشيخ:

كلمة (امرأة) ليس فيها إهانة، كما أن هذا لا يساعِد عليه القرآن؛ لأنه جاء فيه (امرأة) غير

مُسَمَّاةٍ في مقامات التَّكْرِيم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

[التَّحْرِيم: ١١].

التَّمْلِيح ما لا يُنَاسِبُ العذابَ.

فلو قيل: (وَأُمُّ جَمِيلٍ حَمَّالَةٌ الحَطَبِ) لم يكن ذلك مُسْتَمْلِحًا؛ لِأَنَّ اسْمَ
(الجمال) لا يُنَاسِبُهُ العذابُ، والقرآنُ على أَكْمَلِ الْأَوْجُهِ في البيان والبلاغة.



قال المصنف وفقه الله:

﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ : فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ، وَهُوَ اللَّيْفُ الشَّدِيدُ الْخُشُونَةُ إِذَا قُتِلَ وَجُدِلَ كَضَفَائِرِ الشَّعْرِ.



قال الشارح وفقه الله:

قوله: (كضفائر الشعر): الضفائر: الشعر الذي يُجَمَّعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، وَيُشَدُّ فِي صُورَةٍ مَعْرُوفَةٍ مُرْسَلَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ تُسَمَّى (ضَفِيرَةً).
وَالْآنَ لَمْ يَعُدَّ النَّاسُ يَعْرِفُونَ (ضَفَائِرَ الشَّعْرِ)، لِأَنَّهُمْ صَارُوا يَقْصُونَ الشَّعْرَ، لَكِنْ يَعْرِفُونَ ضَفَائِرَ الْبَطَّارِيَةِ!



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الإخلاص

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [الإخلاص].

﴿الصَّمَدُ﴾: السيّد الكامل المقصود في قضاء الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾: ليس له وَلَدٌ ولا والدٌ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾: لا يُكافئُهُ أَحَدٌ في ذاته، ولا في أسمائه،

ولا في صفاته، ولا في أفعاله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الذي ذكره المصنف في تفسير (الصَّمَد) يَدُلُّ على أَنَّ صَمَدَانِيَّةَ اللَّهِ تجمع

أمرين:

✓ أحدهما: كماله - سبحانه - في نفسه، في قوله: (السيّد الكامل).

✓ والآخر: تكميله غيره في احتياجهم إليه؛ وذلك في قوله: (المقصود في

قضاء الحوائج)؛ فالخَلْق مفتقرُونَ إلى الله في حوائجهم؛ في صِحَّة
أحدهم، ورزقه، وقُوَّته، وغير ذلك.



قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الفلق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

﴿أَعُوذُ﴾: أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ الْمَصْنَفُ - وَفَقَّهَهُ اللَّهُ - أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿﴿أَعُوذُ﴾﴾: أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ):

فَ (الْعَوْذُ): الْإِلْتِجَاءُ وَالْإِعْتَصَامُ. وَ(الاسْتِعَاذَةُ): طَلَبُ الْإِلْتِجَاءِ وَالْإِعْتَصَامِ.

وَيَكُونُ (الْعَوْذُ) مَعَ وُرُودِ الْمُخَوِّفِ؛ فَإِذَا وَرَدَ عَلَى الْعَبْدِ مَا يُخَوِّفُهُ طَلَبَ

الْعَوْذَ.

وَ(الْعَوْذُ) هُوَ (الْعِيَاذُ)؛ فَيُقَالُ: (الْعَوْذُ)، وَ(الْعِيَاذُ).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ (الْعِيَاذِ، وَاللِّيَاذِ):

وَ (الْعِيَاذِ وَاللِّيَاذِ) بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا: أَنَّ (اللياذ): يشتمل على الاختفاء بسرّ.

فـ (العياذ): لجوء واعتصام، و(اللياذ): لجوء واعتصام، لكنّ (اللياذ) يكون مع السرّ والاختفاء.

ومنه: قوله تعالى في المنافقين: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣]: يعني بسرّ واختفاء.

ومنه: قول بعض العرب من أهل بلادنا وغيرهم: (تجد فلاناً في اللّوذة)، واللّوذة: الزاوية المختفية.

وأيضاً مَنْ مَضَى بِسُرْعَةٍ واختفاء يُقال عنه: (لَاذٌ مِنْ هُنَا): أي مضى بسرعة واختفاء.

وأما ما يُقال مِنْ أَنَّ (العوذ): عند ورود المخوف، و(اللياذ): عند الطمع والرّجاء، ويُستدلّ له بقول المُتنبّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أُحَازِرُهُ

فهذا معنًى لا تعرفه العرب، وهو ممّا أخطأ فيه المُتنبّي.



قال المصنف وفقه الله:

﴿أَفْلَقَ﴾: الصُّبْحُ.

﴿غَاسِقٍ﴾: الغَاسِقُ هو اللَّيْلُ.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾: إِذَا اسْتَحْكَمَ ظِلَامُهُ.

﴿النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: الْأَنْفُسُ السَّوَاحِرُ؛ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، اللَّوَاتِي

يَسْتَعِنَّ عَلَى سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْخِ مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ فِي الْعُقَدِ الْمَشْدُودَةِ عَلَيْهِ.



قال الشارح وفقه الله:

هذا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَفْسِيرِ (النَّفَاثَاتِ) يُفِيدُ أَنَّهُ وَصَفُ لَا يَخْتَصُّ

بِالنِّسَاءِ، لَكِنَّ التَّائِيثَ بِاعْتِبَارِ (الْأَنْفُسِ)؛ فَهُوَ اسْمٌ لـ (الْأَنْفُسِ السَّوَاحِرِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ).

قال: (اللَّوَاتِي يَسْتَعِنَّ عَلَى سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْخِ مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ)؛ وَهَذَا يُسَمَّى

(نَفْثًا).

■ ف (النَّفْثُ): هَوَاءٌ مَصْحُوبٌ بِرِيْقٍ لَطِيفَةٍ.

■ وَإِذَا جُرِّدَ مِنَ الرِّيْقِ سُمِّيَ (نَفْخًا).

فَلَا يَكُونُ (نَفْثًا) إِلَّا مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ.

قال المصنف وفقه الله:

معاني سورة الناس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ⑥﴾ [الناس].

﴿أَعُوذُ﴾: أَلَجَأُ وَأَعْتَصِمُ.



قال الشارح وفقه الله:

فمعنى (أَعُوذُ) في سورة الناس هو معناها في سورة الفلق.

وهاتان السورتان أعظم التَّعوُّذات؛ فعند مسلمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾؛ أي لا يُلجأ ولا يُعتَصَم إلى الله بمثل هاتين السورتين.

فأنت إذا خِفْتَ شيئاً ليس الأكمل أَنْ تقول: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فُلَانٍ)، بل الأكمل:

أَنْ تقرأ عليه الفلق والناس بِنِيَّةِ طَلَبِ اللُّجُوءِ والاعتصام من شرِّه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال المصنف وفقه الله:

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾: بِسَيِّدِهِم المَالِكِ المُصْلِحِ لَهُم.

﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ (٢): مَعْبُودِهِم بِحَقٍّ.

﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: هُوَ الشَّيْطَانُ؛ يَتَأَخَّرُ وَيَنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ،

وَاسْتِعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ.



قال الشارح وفقه الله:

ذَكَرَ المَصْنَفُ فِي تَفْسِيرِ (﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾) أَنَّهُ (الشَّيْطَانُ؛ يَتَأَخَّرُ) أَيِ

يَرْجِعُ مُتَأَخِّرًا، (وَيَنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَاسْتِعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ).

وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الشَّيْطَانُ الْجِنِّيُّ.

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ الْإِنْسِيَّ إِذَا اسْتَعَذَتْ مِنْهُ قَدْ لَا يَخْنَسُ وَلَا يَرْجِعُ عَنْ شَرِّهِ، وَإِنَّمَا

الَّذِي يَحْدُثُ لَهُ هَذَا: هُوَ الشَّيْطَانُ الْجِنِّيُّ.

■ فَإِلْقَاءُ الشَّرِّ مِنَ الشَّيْطَانِ الْجِنِّيِّ يُسَمَّى (وَسْوَسةً).

■ وَإِلْقَاءُ الشَّرِّ مِنَ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِيِّ يُسَمَّى (وَشَوْشةً).

وَالْوَشَوْشةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيفُ؛ لِأَنَّ الشَّرَّ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي خَفَاءٍ.

قال المصنف وفقه الله:

﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: يُحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ وَيُقَوِّي
إِرَادَتَهُمْ لَهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ الْخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ.



قال الشارح وفقه الله:

في هذه الجملة بيان حقيقة الوسوسة الشيطانية، وأنها: تحسِّنُ الشَّرَّ لِلنَّاسِ
وتقوية إِرَادَتِهِمْ لَهُ، وتقبيحُ الخير لهم وتثبيطهم عنه؛ يعني إضعافهم عنه.



قال المصنف وفقه الله:

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٦): محل وسوسته: صدور الخلق من الجن

والناس.

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه
على يد جامعہ لنفسه وللمن شاء الله من خلقه:
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله لوالديه ولمشايعه وللمسلمين
في غرة ذي القعدة، سنة إحدى وثلاثين بعد الأربعمائة والألف
بمدينة الرياض حفظها الله داراً للإسلام والسنة



قال الشارح وفقه الله:

فقوله: ﴿وَالنَّاسِ﴾ هنا يُراد بها: جنساً يجمع الإنس والجن.
فالإنس والجن جميعاً يُسمَّون (ناساً)، والإنس بعضهم، والجنُّ بعضهم؛
أخذ هذا من النَّوَس؛ وهو الحركة والاضطراب.



فوائد وتنبيهات بعد ختم الشرح

* طالب العلم لا بُدَّ أن يُوثِّق قراءته وأخذه؛ حتَّى يعرفه ويضبطه، فنحن الآن في يومٍ وسنكون بعد عشرين سنةً في يومٍ آخر، فتعرفُ حينذاك أنَّكَ قرأتَ هذا القدرَ في اليومِ الفلانيِّ في السَّاعةِ الفلانيَّةِ؛ وإذا لم تُقيِّدْ هذه الأمور ولم تُضبطْ تَضِيعَ على طالب العلم؛ ولذلك لم يَزَلْ هذا من عادة أهل العلم أن يُثَبِّتُوا مِيعَادَ الدَّرْسِ، ثُمَّ ضَعُفَ الْعِلْمُ فَضَعُفَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ.

والمِيعَادُ الْمُثَبَّتُ: أن تكتبَ عند بداية الدَّرْسِ في أوَّلِ الكتابِ مثلاً: (بَدَأَ هَذَا الدَّرْسُ فَجَرَّ يَوْمَ الْأَحَدِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ كَذَا وَكَذَا، السَّاعَةَ كَذَا وَكَذَا).

وفي الأخير تكتبُ نِهَايَةَ الْمَجْلِسِ، وتكتبُ التَّارِيخَ، وتكتبُ السَّاعَةَ؛ هذا معنى (المِيعَادِ).

وإذا كان الدَّرْسُ مِائَةَ مَجْلِسٍ فَتُثَبَّتُ مِائَةُ مِيعَادٍ.

* العربُ تُسَمِّي الْأَخِيذَ عَنْ شَيْخٍ (صَاحِبًا)، وَلَا تُسَمِّيهِ (تَلْمِيزًا)؛ لِأَنَّ (التَّلْمِيزَ) لَيْسَتْ كَلِمَةً عَرَبِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ حَادِثَةٌ عَرَبَتْ ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ، لَكِنْ فَلَا اكْمَلَ تَسْمِيَتُهُ (صَاحِبًا)، وَهُوَ الْمَوْجُودُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

* لا يُوجد شيءٌ اسمه (الشَّطْب)؛ لأنَّ (الشَّطْبَ) يعني: الشَّقُّ، فيُقال: (الضَّرْب)، ولا يُقال: (الشَّطْب).

* يُقال: شهر ذي القعدة - بالفتح -، ولا يُقال: شهر إحدى عشر؛ فالعرب تعدُّ شهورها بالأسماء لا بالأرقام، وإنَّما هذا فعلٌ غيرهم.

* هذه الدُّروس محلٌّ للتَّعليم، ومن كان عنده سؤالٌ يكتبه في ورقةٍ، ثمَّ يرسله إلينا، ثمَّ نُجيب عنه بعد ذلك.

فَعَلِمَ أَنَّ السُّؤالَ يَخْتَصُّ بهذه الصُّورة دون غيرها، فلا يسأل في الدَّرس، ولا يسأل بعد الدَّرس؛ فكلُّ هذا ليس محلًّا للسُّؤال، بل يكتب السُّؤال ثمَّ نُجيب عليه في مقامه اللَّائق؛ فإذا فُمت لا آذن لأحدٍ بأن يسألني؛ لأنَّ هذا ليس مقامًا له.

* الدُّروس مُرتَّبةٌ في مَواقِيتها؛ فمن أحبَّ أن يلتزم بها فل يلتزم بهذه المَواقِيتِ أوَّلًا، ثمَّ يلتزم بأدب الدَّرس؛ فطلبُ العِلْمِ عِبادةٌ، ونحن في بلدٍ حرامٍ، في شهرٍ حرامٍ، ولا تقع العِبادةُ مُتَقَبَّلةً عند الله إلَّا إذا كانت على ما يُحِبُّه الله ويرضاه.

فالعلم ليس عبثًا؛ فلا يأتي طالبٌ ويلقي كتابه على الأرض، أو يمدُّ رجله إلى الشَّيخ، ويتكئ على ما وراءه، ويتابع الجَوَّال في يده! فإنَّ هذا أخلَّ بعِبادةِ العلم، وذهب عنه أجرُها في وقتٍ مباركٍ، في بلدٍ مباركٍ، في شهرٍ مباركٍ.

ومن أراد البركة يطلب أسبابها؛ فاجتهدوا في أسباب البركة.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُبارك لنا ولكم أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين، وصَلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ، وآله
وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

تَمَّ الشُّرْحُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
بعد الفجر يوم الجمعة التَّاسِعِ والعشرين من ذي القعدة
سنة ستِّ وثلاثين وأربعمائة وألفٍ
في المسجد الحرام بمدينة مكَّة المَكْرَمَةِ



[illegible]

[illegible]





